Twitter: @abdullah_1395
11.4.2012

السعودية
الدولة والمجتمع
محدّدات تكوّن الكيان السعودي

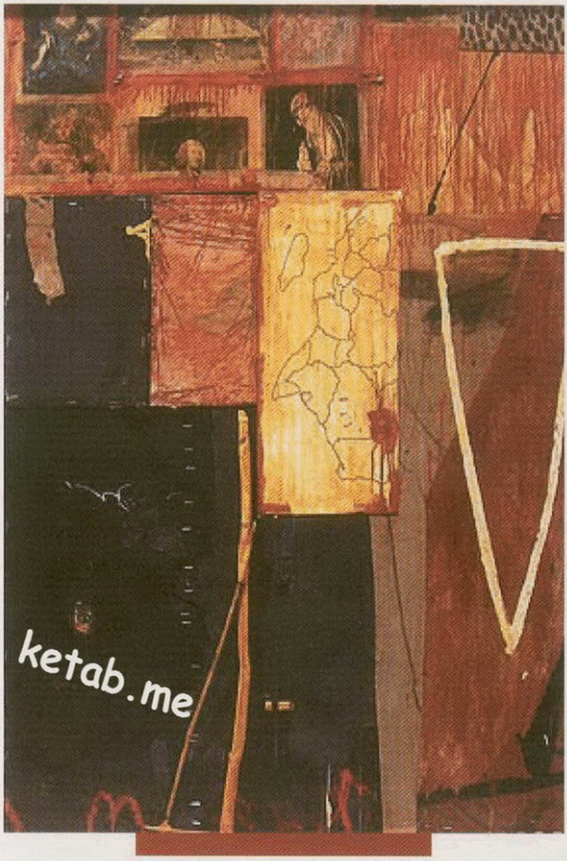

الدكتور محمد بن صنيتان

Eqla3 Library
All rights reserved - eqla3.com

الشبكة العربية للأبحاث والنشر
ARAB NETWORK FOR RESEARCH AND PUBLISHING

السعودية
الدولة والمجتمع
محدّدات تكوّن الكيان السعودي

الدكتور محمد بن صنيتان

الشبكة العربية للأبحاث والنشر
ARAB NETWORK FOR RESEARCH AND PUBLISHING

Twitter: @abdullah_1395

السعودية
الدولة والمجتمع
محدّدات تكوّن الكيان السعودي

Twitter: @abdullah_1395

الفهرسة أثناء النشر ـ إعداد الشبكة العربية للأبحاث والنشر

ابن صنيتان، محمد

السعودية: الدولة والمجتمع: محددات تكوّن الكيان السعودي/ محمد بن صنيتان.

١٢٧ ص.

ببليوغرافية: ص ١٢٣ ـ ١٢٧.

١. السعودية ـ الأحوال الاقتصادية. ٢. السعودية ـ الأحوال الاجتماعية.

٣. السعودية ـ الأحوال الثقافية. أ. العنوان.

330.9538

«الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة
عن وجهة نظر الشبكة العربية للأبحاث والنشر»

حقوق الطبع والنشر محفوظة للشبكة

الطبعة الأولى

بيروت، نيسان/ أبريل ٢٠٠٨

الشبكة العربية للأبحاث والنشر

بناية «سادات تاور»، شارع ليون، ص.ب: ٥٢٨٥ ـ ١١٣

الحمراء ـ بيروت ٤٠٠١ ٢٠٣٧ ـ لبنان

هاتف: ٧٨٩٤٥٣ (١-٩٦١)

فاكس: ٧٨٩٤٥٤ (١-٩٦١)

E-mail: info@arabiyanetwork.com

Twitter: @abdullah_1395

المحتويـــات

مقدمـــة ٧

تمهيـد تاريخي : محددات تكوّن الكيان السعودي ٢٥

الفصل الأول : المحدد السياسي والديني : الدعوة السلفية (الوهابية) ٢٧

أولاً : نشأة الدعوة ٣٢

ثانياً : مبادئ الدعوة ٣٣

١ ـ التوحيد ٣٣

٢ ـ فتح باب الاجتهاد ٣٦

٣ ـ محاربة البدع ٣٧

٤ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٣٨

الفصل الثاني : المحدد الاقتصادي (النفط) ٤٣

أولاً : الريع النفطي ٤٦

ثانياً : الدولة الريعية ٥١

الفصل الثالث : المحدد الثقافي (التعليم) ٦٥

أولاً : التعليم الرسمي ٦٨

ثانياً : التعليم العالي ٦٩

Twitter: @abdullah_1395

ثالثاً : التعليم، التطور الكميّ، تعميم المعرفة ٧٠
رابعاً : أهداف التعليم العالي ٧٣
خامساً : التعليم والحراك الاجتماعي ٧٨
سادساً : التعليم المستمر ٨٥
سابعاً : الامتحانات ٨٦
ثامناً : المرأة والعمل (التربية الأسرية) ٨٨
تاسعاً : التعليم والتقانة ٨٨

الفصل الرابع : المحدد الاجتماعي والاقتصادي للمجتمع السعودي ٩١
أولاً : مفهوم التحولات الاقتصادية الاجتماعية ٩٤
ثانياً : محددات التحولات الاجتماعية الاقتصادية ٩٥
ثالثاً : طبقات المجتمع السعودي ٩٩

خاتمـــة ١١٥

المراجـــع ١٢٣

Twitter: @abdullah_1395

مقدمـــة

تتناول هذه الدراسة ما طرأ على المجتمع السعودي بعد بناء الدولة أولاً، ثم عصر النفط ثانياً. لقد كان قيام الدولة السعودية متميزاً، حيث كان نتيجة تحالف السياسي مع الديني (الحركة الوهابية)، ما حكم على النظام السياسي بأن يكون على ما هو عليه، على الرغم من التباين الذي حدث مبكراً بين السياسة من جهة، والقيادة الدينية من جهة ثانية. وهو الذي لا يزال يحدث ولم ينقطع ما بين آونة وأخرى. هذا من الناحية السياسية.

أما من الناحية الاجتماعية فقد تعرض المجتمع السعودي إلى تحولات عميقة بفعل مداخيل النفط، وما سببته هذه المداخيل من احتكاك متبادل بالعالم سواء على مستوى الداخل أم على مستوى الخارج. وسوف تتعرض هذه الدراسة إلى الآثار الاجتماعية والاقتصادية الناجمة عن «عصر النفط» الذي تميز على المستوى الاقتصادي بسيولة نفطية عارمة كادت تجرف معها تلك المواريث لولا صلابتها وقوتها. لقد غير النفط ملامح المجتمع السعودي تغييراً إيجابياً، على الرغم من أنه لم يسلم من بعض التشوهات غير السارة. إذ استشرت العادات الاستهلاكية في المجتمع، كما شكل الريع النفطي في بعده الاقتصادي والاجتماعي شرائح المنظمين و«الكمبرادور» مع الشركات الأجنبية من شرائح ضيقة ومحصورة في العائلية والإقليمية والزبونية من أصحاب القرار أو الذين يهيئون القرار.

هذا إلى جانب الفساد في البيروقراطية، وانهيار أخلاقيات العمل،

Twitter: @abdullah_1395

واستفحال ظاهرة العمالة الأجنبية، بالإضافة إلى البطالة الوطنية والفقر. وربما كان المكسب الكبير الذي يتباهى به المجتمع السعودي هو الثورة التعليمية الكبرى التي عرفها، وسخر لها الأموال الطائلة من خلال سياسات الابتعاث إلى الخارج، وبناء بنية تحتية كبرى، والتي انتكست جراء حرب الخليج وأحداث ١١ أيلول/سبتمبر وما تبعها من مراجعة للعملية التعليمية برمتها. وهذا ما سيكون محل بحث وتحليل في هذه الدراسة. أما الخاتمة فيها فجاءت بمثابة التلخيص للأفكار الأساسية في البحث.

١ ـ فكرة الدراسة ومشكلاتها وفرضيتها

تعود **الفكرة المركزية** في هذه الدراسة إلى اهتمامي بالشأن العام، وملاحظاتي الشخصية، واتصالي الواسع على مختلف شرائح المجتمع السعودي. وقد تعمقت ملاحظاتي خلال مراحل تأهيلي العلمي والعملي ومراقبة المزاج الاجتماعي والبيروقراطي عن كثب. وهذا الانطباع أخذ مساره المهني خلال دراستي التخصصية في علم الاجتماع السياسي.

لقد جذبتني دراساتي في علم الاجتماع ـ وخصوصاً الأطروحات الخلدونية، وإبراز أهمية العصبية في السياق السياسي، ونظرة ابن خلدون إلى البداوة والحضارة، وإلى القبلي والحضري، والتماس والتقاطع بينهما ـ إلى الاهتمام بالظواهر الاجتماعية الخاصة بالمجتمع السعودي.

استطاع المجتمع السعودي أن يفرز فئات اجتماعية كان وراءها بالأساس متغير التعليم ومتغير النفط والإرادة السياسية. وسوف يطلع القارئ على ما لحق بالمجتمع السعودي من تحولات أدت في النهاية إلى العائلية والفئوية التي تسم هذا المجتمع، وتفرزه إلى مسميات تهدم ولا تبني، لتسفيد البيروقراطية المؤدلجة ضد كل الآخر؛ السعودي وغير السعودي، من المواقع النخبوية في بيروقراطية الدولة، حيث لا تزال المفاهيم المؤدلجة تدعي خصوصية الانتماء أكثر من غيرها كتبرير لتغلغل أسر محصورة ومعدودة لاحتكار الوضع النخبوي في المجتمع. تتضح مشكلة الدراسة في أن الإقليمية التي تكمن وراء البيروقراطية عرت جسدها حتى للملاحظة العابرة التي لا تخطئها العين المجردة.

Twitter: @abdullah_1395

والفرضية التي تنطلق منها هذه الدراسة هي:

هل أن المجتمع السعودي لا يزال يضم من بين فئاته فئاتٍ لا تزال وفية للموروث الاجتماعي الذي يظن أنه اندثر أو اندرس في المراحل الأولى من تأسيس بناء الكيان السعودي؟ فالبيروقراطية التي معظم أفرادها من خريجي جامعات غربية تؤصل الانصهار والذوبان الاجتماعي، وتعلي قيمة الكفاءة الوطنية مهما كانت تضاريس جغرافيتها، وكذلك تؤطر مخرجاتها بأحدث النظريات في إدارة المجتمع، وأحدث النظريات في مفهوم عملية وهندسة الوحدة الوطنية. وعلى الرغم من ذلك كله أبت إلا أن تكون وفية للقريب أو الزميل أو المنفعة على حساب الوطن. وهذا ما أ كدته هذه الدراسة.

كشفت هذه الدراسة بوضوح بروز مظاهر التملق والسمسرة والانتهازية، ما أفقد النخب البيروقراطية دورها الذي يتطلب حمل المجتمع على التخلص من عيوبه. ولم تستطع الدولة أن تفعل الكثير، أو أن تكون قاطرة التغيير الحقيقي. وقد تكون هي العلة والمعلول الذي أدى إلى هذه النتيجة، ما يؤكد أهم نتائج الدراسة وأخطرها؛ وهي أن البيروقراطية السعودية لم تفلح في تجذير مفاهيم الوحدة ومقومات النمو، ودفع الحراك الاجتماعي الشامل لكل الوطن وكل فئات المجتمع على الرغم من زادها المعرفي المتمثل في عناوين الشهادات المستجلبة من الغرب الذي أعطاهم شهادة المرور إلى دهاليز البيروقراطية السعودية والجلوس على قمتها.

فقد فشلت النخب البيروقراطية في أن تتمثل الثقافة الوطنية للغرب، وأن تفيد من المنجز الغربي في تأسيس التنمية المستدامة في الوطن، وتأسيس منهجية الصهر والذوبان الاجتماعي، ومعرفة إدارة المجتمع على أساس الكفاءة والاستحقاق والوطنية. بل لقد عمدت بقصد وإصرار إلى إحياء الثنائيات القديمة والنزعات البالية الفانية التي تكرس الإقليمية والمناطقية، وتقسم المجتمع إلى بدو وحضر، وتصنيفات أخرى طائفية ومذهبية تفرق ولا تجمع. كما أحيت السلوك الاستهلاكي، والبذخ التفاخري، وعلاقات المصالح والمحسوبية التي حددت مسار التجربة حتى هذا اليوم.

المنهج المتبع، لم أتعامل مع منهج محدد في هذه الدراسة، بل ابتدعت المنهجية المفتوحة التي تتوافق مع منهجيات عدة بحسب فرضية الدراسة التي

Twitter: @abdullah_1395

انطلقت منها ورغبت في البرهنة على صحتها والاقتناع بها، فاستثمرت على وجه الخصوص المنهج الوصفي تعاضده مناهج أخرى كالملاحظة والإحصاء والمقابلة. والوصف كمنهج مختار لا يعنى بذكر تفاصيل الظاهرة على اعتبارها «مشهداً» استناداً إلى «فطنة البصر» على الرغم من أهمية ذلك، بل لقد حاولت بالوصف أن أفهم الظاهرة فهماً أفضل من خلال الوقوف على مظاهرها، وكشف المخفي منها ـ وذلك ما يعنيني بالدرجة الأولى ـ لأجل حصر السمات، وتدقيق ملامح الشرائح الاجتماعية، وما يضبط في ما بعد مكوناتها وعلاقاتها المعقدة. وذلك ما يسمح لنا بحمل التعريفات تلك إلى الخلفيات الثقافية والاجتماعية المتباينة في المجتمع.

مراحل البحث، لم أقسم البحث إلى مراحل على الرغم من أن ذلك عادة أكاديمية. إلا أن قناعتي أن فيها شيئاً من التعسف يقطع أوصال البحث ويشتته، وعلى الرغم من ذلك فقد قاربت مراحل البحث مقاربة معرفية يتداخل بعضها في بعضها الآخر في تماسك، وما تمييزها إلاّ شكل من أشكال الإجرائية البيداغوجية التي تستهدف توضيح الخطوات العلمية التي أثمرت البحث في صيغته النهائية. ولكل الأسباب المذكورة فإن البحث الذي أُنجز قد اقتضى المرور بهذه العمليات، دون أن يفيد ذلك أنها مستقل بعضها عن بعض كما أشرت سابقاً.

البحث الببليوغرافي، وهو الحصول على المصادر المعلوماتية والوثائقية. وفيه حرصت على جمع الوثائق المكتوبة وغيرها، والمتعلقة بنظريات السياسة والسوسيولوجيا الأيديولوجية بما فيها القبيلة، والبداوة، والمذهبية، والرّيع، والبيروقراطية الإقليمية. وحاولت في ما بعد أن يكون البحث لصيق الواقع الحقيقي والعيني للمجتمع السعودي، فحرصت على الحصول على المعلومة التي يكون مصدرها الأشخاص الذين تقتحم بهم «المخفي» من الظاهرة المدروسة، فتنفتح أمامك سبل جديدة في البحث.

البحث الميداني، لا يمكن للبحث الأكاديمي المتعلق بظاهرة اجتماعية تُعنى على وجه الدقة بالمجتمع السعودي أن يتغافل عن البحث الميداني، فالدراسات النظرية في مثل هذه البحوث لا تفي المجتمع حقه باعتباره كائناً «عيانياً» بالدرجة الأولى على الرغم من أن تحديده وتدقيق ملامحه لا يتسنيان للباحث إلا بذلك الزاد النظري. لذلك لم أقتصر على تقنية واحدة، بل على

Twitter: @abdullah_1395

خلاف ذلك حاولت اعتماد «تقنيات مجمّعة»: كالملاحظة بكافة أشكالها، من المجردة إلى المشاركة إلى الأحاديث المعمقة مع بعض مفردات المجتمع التي تنحو أحياناً إلى ما يشبه استرداد «سير ذاتية»، ثم جمع بيانات إحصائية دقيقة. إن البحث الميداني هو الذي قادني حقيقة إلى أن ألج عمق المجتمع السعودي. فالعمل الميداني مكنني من رؤية فئات المجتمع وشرائحه على نحو مخالف لما اعتدته. فالملاحظة بكافة أنواعها، وخصوصاً الملاحظة بالمشاركة لنسيج المجتمع مكنني لزمن طويل من معاشرة العديد من فئات ومفردات المجتمع المنتمية لمختلف الأوساط المهنية والمناطقية.

تحليل مختلف نتائج تقنيات البحث الميداني، إن تحليل الاستبيان، والمسح الإحصائي، وإعادة قراءة «المقاطع» والمشاهد كلها التي لاحظتها، وفهم محتوى الأحاديث التي أجريتها مع بعض المواطنين أو غيرهم، كل ذلك يتطلب تفكيك المادّة الخام من المعلومات والوثائق الإحصائية وغيرها حتى تغدو ذات معان دالّة تخدم الفكرة الموجهة التي حكمت الدراسة، والتي ترى أن المجتمع السعودي منغلق على نفسه كثيراً، ينشدّ دائماً إلى الموروث، مع تطلع المثقفين فيه إلى المثاقفة مع الآخر. وعلى وجه عام فهو مجتمع يحاصره التوجس والحيطة، ويرفض المكاشفة ويخفي علاقاته. إنه يميل إلى التكتم.

التحرير، وأعني مباشرتي مرحلة الكتابة التي حملت الأفكار التي انتهيت إليها في مقاربتي للمجتمع السعودي، وقد قادتها الفكرة الموجهة التي أشرت إليها آنفاً. وكنت قد التزمت في كل ذلك بالمنهج الوصفي التحليلي الذي يولي عناية خاصةً لذكر الخصائص المميزة للمجتمع السعودي في محاولة لإبراز سماتها المتغيرة والثابتة. ولا يعني اختيار هذا المنهج الاقتصار عليه أو إلغاء بقية المناهج الأخرى، ذلك أنني تعاملت معها وبها من دون حرج كلما رجّحت إمكانية الإفادة منها، فقد استندت عند العرض إلى المنهج التاريخي طوراً وإلى المنهج الإحصائي طوراً آخر.

المفهوم والدراسات السابقة، تضم هذه الدراسة فصولاً تعالج موضوعات متعددة، منها الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والعقائدية وغيرها من الشؤون العامة للمجتمع السعودي. فاستعراض الدراسات السابقة يأتي على معظم هذه الموضوعات من دون تحديد أو ترتيب.

Twitter: @abdullah_1395

٢ ـ مفهوم الطبقات والتشكيلة الاجتماعية

أ ـ الطبقات عند كارل ماركس:

ـ **الطبقة الرأسمالية**: وهي التي تملك وسائل الإنتاج المتبلورة في واقع سيطرة طبقة واحدة على وسائل الإنتاج وتملّكها إياها، مقابل ما تقدمه طبقة أخرى من عمل (البروليتاريا). فالطبقة الرأسمالية طبقة مهيمنة دائماً. والبروليتاريا طبقة مهيمن عليها باستمرار. والطبقة الرأسمالية هي ما اصطلح عليه بالمذهب الماركسي «بالبنية الفوقية»، حيث يمكّنها وضعها الاقتصادي من التأثير من خلال موقعها. فقدرتها المادية في المجتمع وظروف الحياة الاجتماعية التي تعيشها خلق لها بنية كاملة متفردة من أنماط الفكر والنظرة إلى الحياة والأوهام والمشاعر المتميزة المكونة بكيفية خاصة. والأفكار المسيطرة هي دائماً أفكار الطبقة السائدة. والطبقة المسيطرة على القوى المادية في المجتمع تكون هي دائماً المسيطرة على كل قوى المجتمع اجتماعياً وثقافياً واقتصادياً.

ـ **الطبقة الوسطى (البرجوازية)**: وهي طبقة تقع بين الطبقتين المتعارضتين وتضم فئات فيها من كل خصائص تلك الطبقتين. ففيها من الذين يملكون وسائل الإنتاج، ولكنهم يستغلونها بأنفسهم ولا يستأجرون أحداً. ومنهم من يعمل لحسابه الخاص من دون العمل عند أحد في الأجر. ومنهم من يملك وسائل إنتاج ولكن بقدر ضئيل[١].

ـ **الطبقة الدنيا (البروليتاريا)**: وهي ما أوضحنا عند الحديث عن الطبقة الرأسمالية. فهي الطبقة العاملة بالأجر والمهيمن عليها دائماً من قبل الطبقة الرأسمالية. فهي في تعارض دائم مع الطبقة الرأسمالية.

ب ـ الطبقات عند ماكس فيبر:

تتمثل الطبقات عند ماكس فيبر في القواعد التي ينطلق منها الأفراد في نشاطهم الاجتماعي وتمكنهم من القيام به. فالتساوي في المصالح الاقتصادية

---

(١) انظر: أمحمد صبور، **المعرفة والسلطة في المجتمع العربي: الأكاديميون العرب والسلطة**، سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ١٨ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢).

Twitter: @abdullah_1395

وفرص الدخل لمجموعة ما يعطيها وضعها كطبقة. والطبقة في مفهوم فيبر تتحدد بمعطيات السوق. وتوسع السلطة والنفوذ في المجتمع، وبخاصة السلطة والنفوذ اللذين يمكنان الفرد من الوصول إلى السلع والخدمات. أما فرص الحياة فتتحدد بسلطة السوق التي تكون سبباً في تحديد الوضع الطبقي.

إن الأفراد الذين يوجدون في مواقف متماثلة ويتشاركون في مصالح اقتصادية واحدة، وينتظمون في مواقع اجتماعية متشابهة يمكن أن يطلق عليهم طبقة في مفهوم فيبر. والفرق بين فيبر وماركس هو أن تعريف فيبر للطبقات يعتمد على أساس السوق وعلاقات التبادل، في حين أن تعريف ماركس يعتمد على الإنتاج. ويركز فيبر على الجانب الثقافي، في حين أن ماركس يركز على الجانب المادي. فيبر يلفت إلى أهمية وسائل أخرى كمهارات الفرد وقدراته (التقنية والإدارية) التي يمكن استغلالها في سوق العمل، إذ امتدت نظرية فيبر إلى أرباب المهن والخبراء التقنيين والمقاولين وغيرهم، حيث ينضمون في إطار نظرية التراتب الاجتماعي. وفيبر يتصور الصراع الاجتماعي خارج الثنائية الماركسية، أي بين من يملكون ومن لا يملكون (الرأسمالية والبروليتاريا)، فيذهب فيبر في دائرة الصراع إلى أبعد من هذا، إذ يدخل عوامل أخرى كنمط الحياة والوجاهة والشرف الاجتماعي. مفهوم فيبر للطبقة ذو ثلاثة أبعاد: (Power, Status, Class). وتتفق نظريتا كل من ماركس وفيبر في أن المحور الرئيس للطبقة هي الحتمية الاقتصادية، ولكن يبتعد كل منهما عن الآخر في التحليلات والتنبؤات والتفسيرات الموصلة لهذه الأهداف[٢].

٣ ـ البيروقراطية الإقليمية وفرز الطبقات في المملكة العربية السعودية

عادة ما تكون بوصلة الرهان السياسي متجهة إلى الطبقة الوسطى، فتعمل الحكومات الديمقراطية والوطنية على توسيع قاعدة هذه الطبقة، فهي الطبقة الديناميكية في المجتمع. وتتأثر البيروقراطية وتؤثر في الطبقة الوسطى كالجيش والأمن العام، وفي المناشط الاقتصادية كالمقاولين والمشاريعيين وتجار التجزئة. وتكون ظاهرة صحية مجتمعية إذا كانت الطبقة الوسطى أكبر

(٢) انظر: المصدر نفسه.

Twitter: @abdullah_1395

من الطبقة العليا والدنيا، لأن الطبقة الوسطى هي الركيزة الأساسية للدولة سواء على مستوى دفع الضرائب أم الرسوم والتبرعات، أم تحريك النشاط الاقتصادي والاجتماعي.

كما يأتي معظم العاملين المؤثرين في الدولة والقطاع الخاص من الطبقة الوسطى. وهي حلقة الوسط بين الطبقة العليا والطبقة الدنيا. أما إذا انكمشت الطبقة الوسطى، وتركزت الرأسمالية في فئات أو عوائل أو أقاليم على حساب الوطن الواسع، فمعنى ذلك أن مؤشر البوصلة يعطي دلالة على خلل سياسي واجتماعي واقتصادي.

أ ـ الطبقة الوسطى في المجتمع السعودي:

إن الطبقة الوسطى في المجتمع السعودي غير تلك الطبقات الموصوفة في المجتمع الغربي، وغير الطبقات الوسطى في العالم العربي، حيث تفرز البيروقراطية والعسكرتاريا العربية الطبقة الوسطى في مفهومها الضيق. أما الطبقة في المجتمع السعودي فتفرزها العائلات والمناطق ذات النفوذ البيروقراطي. وإذا توسعت الطبقة الوسطى على كافة خريطة الوطن فهذه ظاهرة سياسية صحية. إذ تتحكم الطبقة الوسطى في زمام المجتمع أو هكذا يفترض. فإذا أصبحت كثافتها أكثر من الطبقتين العليا والدنيا أخذت تحد من جموح الطبقة العليا، وتأخذ بيد الطبقة السفلى لتنهض بها إلى الأمام. إن حس المسؤولية الوطنية يحتم على المخطط الاستراتيجي السياسي والاقتصادي أن يعمل ما بوسعه على زيادة كثافة الطبقة الوسطى، وأن يحميها من كل المؤثرات العائلية والبيروقراطية وغيرها حتى تتمدد التمدد الطبيعي على كامل جغرافية التراب الوطني.

هنا نحذر من تفكك الطبقة الوسطى إلى ثلاث فئات: فئة **أولى** تلحق بالطبقة العليا وتصبح جزءاً منها. وقد تكون مفردات وإطارات البيروقراطية الإقليمية من الطبقة الوسطى مرشحة لتلك الفئة بحكم الفرص المتاحة لها. أما الفئة **الثانية** فقد تتحدر بها حظوظها، بسبب قلة الفرص، إلى الطبقة الدنيا وتوسع من كثافتها. وتبقى الفئة **الثالثة** هي الطبقة الوسطى الحقيقية، ولكنها ضعيفة وقليلة العدد وغير مؤثرة في كبح جماح الطبقة العليا، ولا تقدر على انتشال الطبقة الدنيا من انحدارها العميق.

إن البيروقراطية الإقليمية السعودية، إضافة لما ذكر، قد نجحت في أن تنشئ جيلاً جديداً من المنظمين ومديري التفاوض من البيروقراطية نفسها. وهذا ما وسع هوية الطبقة الوسطى الإقليمية، بل ومنحها شهادة تزكية لترقي للطبقة الاقتصادية العليا (الرأسمالية). إن سيطرة البيروقراطية الإقليمية أشبه بسيطرة الرأسمالية في أسلوب الإنتاج السائد في عهد ماركس، والذي أوضحه أيما إيضاح في كتابيه **بؤس الفلسفة** و**رأس المال**[٣].

لقد تحولت البيروقراطية الإقليمية إلى تكوين اجتماعي متميز أمكنها من أن تكون قوة اجتماعية، ما يجعلني أدعوها طبقة. فهي ترعى مصالحها خير رعاية، وتعمل بقوتها المتاحة، وتهمش بقية الفئات الاجتماعية التي لم تستطع أن تنظم نفسها. والفئات المهمشة لن تحصل على استحقاقاتها الوطنية إلا إذا نظمت نفسها وتحركت كقوة اجتماعية.

ب ـ طبقة الشركاء:

إن ظاهرة كثرة الشركات والمؤسسات تحت اسم «فلان وشركائه» أصبحت مألوفة للشارع السعودي. ففلان هو الشريك الواجهة الذي يختفي خلفه الشركاء المتنفذون سواء من العائلة النافذة أم من كبار البيروقراطيين، والذين يرسون المشاريع عليهم مباشرة، أم يفضلونهم في المناقصات، أو يبيعون عليهم الأراضي النائية التي تقدر مساحاتها بالكيلو مترات بيعاً صورياً أو حقيقياً ثم تقدر بأثمان مرتفعة، أو تنزل مساهمات حيث تجفف جيوب الطبقة الدنيا المسحوقة، إضافة لتجفيف خزينة المال العام أو استغلال المرافق العامة.

وفي بعض الأحيان تتمدد هذه المساحات الواسعة على حساب ممتلكات السكان الأصليين، ما يضطرهم في كثير من الأحيان إلى الاشتباك مع رجال الأمن.

لم يسلم من هذه الطبقة البحر، ولم تشبعهم الصحراء على وسعها. إذ لا تخطئ العين المجردة اللوحات أو السياجات الحديدية على طول الطرق السريعة وعلى امتداد عشرات الكيلو مترات. لقد أصبحوا مافيا التنمية. إنهم يملكون الحصص الكبيرة في الشركات المساهمة، ويستحوذون على جل

(٣) انظر: كارل ماركس، **رأس المال**، ترجمة محمد عيتاني (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٨٢).

Twitter: @abdullah_1395

الشركات والمقاولات، وعلى القروض المعدومة من البنوك. ويعلمون عن كل فرصة وهي على مسودة الورق، ثم يستعدون لأخذ أكبر فرصة عندما تصير حقيقة. ويستطيعون أن يرفعوا الأسهم التي يتعامل بها أكثر من نصف المواطنين، أو ينزلونها متى شاءوا.

لقد انحدرت حظوظ الفئات المسحوقة، وجلها من القبائل، والمناطق المهمشة، وبعض الفئات من المجتمع إلى الوظائف الدنيا في الهرم الإداري. والذين لا يوجدون في الهرم الإداري حتى في أسفله أصبحوا يبحثون عن عيشة الكفاف، ما أيقظ ضمير الإرادة السياسية فنهضت فزعة في رفع شعار معالجة الفقر. إن الفئات المستهدفة هي تلك الفئات من الطبقة الدنيا.

وتخدع البيروقراطية الإقليمية الدولة مطلقة عنان الخطاب الدعائي على كواهله بامتنانه بالإنجاز الرسمي لارتفاع مستوى المعيشة والدخل العالي، حيث توهم الوعي السياسي من خلال تجسيم العناصر التنموية وتضخيم عملية النمو، ما يجعل السياسي في نشوة خطابه الدعائي يظن أن سحابة خير التنمية على ربوع الوطن كله. وفي الواقع المعاش فإن العدالة الاجتماعية، والبنية التحتية للتنمية، والمستويات المأمولة من المعيشة، وتوزيع الدخل، وتدني مستوى البطالة تفرض واقعاً متواضعاً بالنسبة إلى جهر الخطاب البيروقراطي والصوت الدعائي.

يرى الفالح أن الطبقة في المجتمع السعودي ذات طابع عائلي أو أسري يغلب عليها في العادة. وأن الشركات يملكها أشخاص أو أفراد من عائلة واحدة يهمها الربح، ويغلب عليها المحافظة والتخوف الاستثماري مع انعدام الشفافية في ما يتعلق بالأعمال والاستثمار[٤]. وقد لاحظ أيضاً إشكالية ضعف الطبقتين الرأسمالية والوسطى اللتين تستمدان وجودهما من إنفاق الدولة، ما يحتم تبعيتهما واستغلالهما، ويجعلهما عاجزتين عن ممارسة حقهما المشروع في الضغط على الحكومة، كونهما يفترض فيهما أن تكونا من المكونات الأساسية لقوى المجتمع المدني[٥].

---

(٤) متروك الفالح، **المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية: دراسة مقارنة لإشكالية المجتمع المدني في ضوء تريف المدن** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢)، ص ١٥٢.

(٥) المصدر نفسه.

Twitter: @abdullah_1395

وذلك ما يجعل الطبقة في المجتمع السعودي بخاصة، والعالم العربي بعامة ضعيفة التحدي والصمود أمام الأخطبوط القادم (العولمة) الذي سيكبّل الاقتصاد العربي شر تكبيل ما لم تقم الدول العربية سوقاً مشتركة في أقرب وقت.

وترى مي يماني أن المجتمع السعودي، وخصوصاً الشباب الباحثين عن عمل، ينظر إلى دوائر البيروقراطية والسياسية والقانونية نظرة دونية، حيث تواجه هذه المؤسسات وبشكل دائم أسئلة حول وضعها الأخلاقي تجاه المطلوب منها على مستوى الوطن. وترجع يماني ذلك إلى عاملين أساسيين:

ـ علاقة النخبة السعودية مع القوى الغربية الخارجية وبالذات الولايات المتحدة الأمريكية.

ـ عدم وجود سياسات الصهر والذوبان الاجتماعي والوطني على الواقع العملي. وتقترح يماني تطوير حس المسؤولية الاجتماعية القائم على التعاليم الإسلامية[٦].

٤ ـ المثقف في المجتمع السعودي

يعرف أسامة عبد الرحمن الثقافة بأنها التراكم الإبداعي عبر مسيرة الحضارة الإنسانية والمعرفة بأبعادها نفسها. ويعرف المثقفين بأنهم تلك الفئة التي تملك ناصية القدرة الإبداعية المستثمرة في عطاء إبداعي واستيعابه وسعة الاطلاع في أبعاد شتى للعطاء والإبداع واستثماره.

ويصنف أمحمد صبور المثقفين تصنيفاً يعتمد على الولاء للمثقف والقاعدة التي يتكئ عليها. فهناك مثقفو الأمراء ومثقفو الجماهير، والمثقفون التكنوقراط، والمثقفون ذوو الاهتمامات الاجتماعية والإنسانية، والمثقفون أصحاب السلطة أو الساعون للسلطة.. والمثقفون المحافظون، والمثقفون أصحاب التغيير، والمثقفون القوميون، والمثقفون أصحاب الموروث المحافظون على العادات والتقاليد، والمثقفون الثوريون، والمثقفون حراس

---

(٦) انظر: مي يماني، **هويات متغيرة: تحدي الجيل الجديد في السعودية** (بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠١).

Twitter: @abdullah_1395

أبواب السلطة، والمثقفون الانتهازيون والوصوليون، والمثقفون الواقعون خارج مجال السلطة[٧].

ويرى جان فرانسوا بايار أن حجة أصحاب التوجه الثقافي الانغلاقي هو ادعاء الأصالة. وهم يبررون ذلك بمحافظتهم على النقاء الأصلي لهويتهم مما يدعونه التلوث القادم من الآخر (الخارجي). فهم يدعون أنهم يحمون ثقافتهم من اعتداء الثقافات الأخرى[٨].

ويعتبر برهان غليون أن للثقافة ثلاث وظائف أساسية: معرفية ومعيارية ورمزية. إن التحول والتغير الثقافي ومضاعفاته بالنسبة إلى التوازنات السياسية والاقتصادية للمجتمع هو الذي يستطيع أن يبين مضمون المقاومة التي يمكن أن تظهر هنا وهناك، ومعنى التغير الثقافي وأثره في التراتب الاجتماعي[٩].

وإذا جاز للكاتب المساهمة في تعريف الثقافة والمثقف، فالثقافة بمفهومها العام هي الحاملة لهمّ المجتمع، وبمفهومها الدقيق هي الوعي الحقيقي الذي يعبد مسالك المجتمع نحو تحقيق أهدافه الواسعة. ومن التعسف نعت كل متعلم أو عالم متخصص بالمثقف ما لم يوظف معرفته في الشأن العام لأمته ومجتمعه. إن المثقف هو من يستخدم ثقافته المعرفية كأدوات وآلية لنقد المجتمع ومراجعة أداء السلطة. فإذا لم يصبح العالم المتخصص أو المتعلم صوت أمته وإشارة المرور لها، سواء بالمرور أم بالتوقف، فإنه يصبح مرهوناً بدائرة تخصصه، أو مجرد باحث لتدوين الكتب والرسائل، أو تدبيج الصحف في مقالاته ما لم تكن ذات معالجة أو رؤية مستقبلية. إن الخلط بين المتخصص والمثقف أسوأ ما يتفشى في المجتمع. فالقلم لا يتحول إلى أداة ثقافية ما لم يكن محراثاً في وعي المتعلمين من المجتمع، أو محركاً اجتماعياً نحو خيارات الوطن. والكتابة لا تمنح الكاتب شهادة المثقف ما لم يستطع أن يقدح كبسولة التفجير في وعي المجتمع

---

(٧) انظر: صبور، **المعرفة والسلطة في المجتمع العربي: الأكاديميون العرب والسلطة**.

(٨) انظر: جان فرانسوا بايار، **أوهام الهوية**، ترجمة حليم طوسون (القاهرة: دار العالم الثالث، ١٩٩٨).

(٩) انظر: برهان غليون، **اغتيال العقل: الثقافة العربية بين السلفية والتبعية** (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٠).

Twitter: @abdullah_1395

وطاقاته، أو يوجع المجتمع النائم عن حقوقه بصعق كهربائي ليفيق من سباته ويبصر حقوقه مثلما هو مدفوع بوليسياً لأداء واجباته.

إنني أجزم أن المثقف ليس الكاتب الوصفي أو مؤرخ الأحداث، بل هو القادر على قراءة ظواهر مجتمعه ليضع سبابته على مكمن الداء، ويضع مجتمعه أمام واقعه، ويستشرف مستقبله ليأخذه إلى الخطوة الأولى على أول الطريق.

وهناك خلط في الفهم عند المثقفين بين أن تكون الثقافة دائماً بالموقف ضد السلطة والعداء معها، فهي بالنسبة لهم رجس يجب التطهر منه، وبين السلطة الدكتاتورية التي ترى في اختلاف الرؤية عصياناً عليها وخيانة عظمى للنظام والأمة.

كما أن هناك تكاملاً بين المؤسسات الرسمية الديمقراطية أو ذات العدل الواعية لمسؤوليتها التي ترى في مثقفيها البوصلة التي تهديها دائماً إلى الطريق المستقيمة الموصلة لأهداف الأمة لتتحسس السلطة خطأها وتتجنب وعثاء السفر ومنعطفات الطريق، وبين المثقفين الذين يجعلون من أنفسهم مدقق الحسابات الذي يراجع الربح والخسارة للمؤسسة الرسمية دائماً، فيبين لها الإيجابيات ويحثها على الاستزادة منها، ويبين السلبيات ويحثها على التقليل منها. إن المؤسسة الثقافية إذا وصلت إلى هذا المستوى في رسالتها تحولت إلى مؤسسة فكرية، وأصبحت خزان الفكر (Think Tank) للمجتمع والدولة.

وهناك اتفاق على النتيجة بين المثقف السلفي المؤدلج سياسياً الذي يخرج أحاديث سياسية ضعيفة وينزلها في مرتبة التواتر، وما يذهب إليه المثقف السلفي المؤدلج مذهبياً بكره السياسي فقط لأنه سياسي، ويخرج من الأحاديث والنقولات الضعيفة أو المجتزأة من سياقاتها وينزلها للشواهد على ما يبرر حججه ويقنع بها الأعوان والتابعين والمريدين، والمثقف القطري أو الحزبي، وكلها تتفق على التخريج السلطوي السياسي، والاستبداد للمنظر الحزبي أو المرجعية القطرية.

تحتم هذه الثقافة السلفية أو الحزبية على المثقف المؤسساتي أن ينهل من مرجعيته الإسلامية والعربية، وفيها الكثير، والتي لو أصلت من قبل

الثقافي مع الإلمام بالثقافات الإنسانية الأخرى لحققت ما تحققه الديمقراطيات الغربية بدلاً من النزوع نحو النموذج الغربي والذوبان فيه، والانفراد بقراءة المرجعية الغربية قراءة استلابية تتماهى سريعاً مع الثقافة الغربية على علاتها.

إن المثقف كمنتج للرأي والفكر لا يمكن أن يوصل رأيه من دون وسائل الاتصال الجماهيري. ومن دون أي وسيلة إعلامية يصبح كطائر من دون جناحين. وعندئذ يبقى أسير كتاب قد لا ينشر، وإذا نشر وقف له الرقيب السلطوي بالمرصاد، وعندها يتحول إلى منشور سري.

لقد حدد المثقف العربي قومياً أو سلفياً خياره المصلحي لتأسيس سلطة السياسي، واستخدم أدواته المعرفية عبر الميديا المتاحة له واسعة من قبل السياسي، ما دام هو بوق علاقات عامة للسياسي، وبدلاً من أن يستخدم أمانة الكلمة بوحي من ضمير ومشروعية المعرفة لدفع السياسي نحو خيار المصلحة العامة التي تعزز مشروعية السياسي في نفوس جماعة المواطنين. ويجسر التفاهم بين كل من السياسي والمواطن على إدراك كل واحد منهما حقوق الآخر. يتجه الثقافي بتأثير مغناطيس المصلحة الشخصية إلى التنظير للتبجيل والدعاية السياسية وتجسيم الشرور والأهوال بما فيها من فتن وصراعات إذا تنكب المجتمع الطاعة للسياسي.

وتبقى قلة من المثقفين من كلا الفئتين تحرص على دفع السياسي لقراءة التاريخ والمكان قراءة تمكنه من إحقاق الحقوق والعيشة الكريمة وتحقيق الحرية للمواطنين. وبهذا تتأسس الشرعية للسياسي مع الحقوق للمواطنة بآلية رشيدة، كل منهما يركن إلى الآخر وفق معادلة العدل بالحقوق والواجبات لدرجة أن كلاً منهما يحرص على بقاء الآخر لقناعته بأن وجود كل منهما يعتمد اعتماداً كلياً على وجود الآخر. وهذه الفئة وإن كانت قلة إلا أنها موجودة ولا بد من العمل على زيادتها واتساعها.

إن الثقافة بمفهومها الشمولي هي التي تنسج خيوط العلاقات، وتبني جسور المعرفة بين الأنساق الاقتصادية والسياسية، وتتفهم أيديولوجية الآخر من دون أن تقبلها، ولكنها لا تعاديها لتجعل منها خصماً يتربص بها ريب المنون. ولا سيما إذا كانت هي الثقافة الغالبة.

إن ثقافة المجتمع هي المكون الأساسي لرؤيته ومفاهيميته بالنسبة إلى

الأشياء والناس حوله ومن خارجه. فالمجتمعات هي التي تصنع تاريخها. والثقافة هي التي تعطي الوعي الحقيقي للمثقف، وتزوده بوعي حقيقي لا ينضب بمصالح أمته ومجتمعه.

فالثقافة معنية بصناعة المثقف. والمثقف معني بالتزامه الأدبي تجاه قضايا مجتمعه. والمثقف ليس هو القادر على صناعة الحرف وبناء الخطاب أو تحليله فقط، إنه صاحب المبدأ الذي لا بد من أن يتحمل الصعاب والتضحيات بشجاعة من أجل مبادئه تجاه دينه وأمته وهويته وترابه.

إن الشجاعة في القلوب كثيرة ووجدت شجعان العقول قليل

المثقف ليس هو الذي يعادي السلطة كما جاء في بعض التعريفات المتطرفة له. فهو الذي يتحمل مسؤولية تصويب مسار المجتمع سلطة وحكومة ومؤسسات وأفراداً، ثم تقييم وتصويب تجربة مجتمعه وأمته. فالمركز (أي مركز) تصرفه مشاغل البيروقراطية اليومية والارتجال في الحلول لملاحقة المشكلات المتسارعة اليومية. وهنا يأتي دور المثقف بنداءاته (الرادارية) ليرسل سنا البرق وقدرة معرفته بحزم ضوئية يسلطها على خيارات الأمة لينير لها بصيرة الاختيار.

المثقف هو الذي ينافح ويكافح ويتثاقف مع الآخر، ليقدح كبسولة التفجير مع المثقف الآخر لمزيد من تلاقح الأفكار والتأثير والتأثر.

إن شرنقة الثقافات الأصولية حول نفسها ظاهرة شائعة لأصحاب الثقافات الموروثة الذين يصرون باستمرار على حماية ثقافتهم من فساد ثقافة الآخر، كما يدعون.

إن حجة أصحاب التوجه الثقافي الانغلاقي هو ادعاء الأصالة، ويبررون ذلك بمحافظتهم على النقاء الأصلي لهويتهم مما يدعونه التلوث القادم من الآخر (الخارجي) فهم يدعون أنهم يحمون ثقافاتهم من اعتداء الثقافات الأخرى.

إن التشرنق بشرنقة دودة القز بخيوط حول نفسها ظاهرة شائعة لدى أصحاب الثقافات الموروثة: كالمبشرين من المسيحيين والقوميين في أوروبا،

Twitter: @abdullah_1395

وأنصار الهندوكية، والمحافظين الذين يرون أنهم يحمون مجتمعهم من الفساد الغربي. إن أصحاب التوجهات التقليدية في الوطن العربي ليسوا استثناء، فحتى في أوروبا يقوم نشاط تجاري من خلال إقامة محلات تجارية ومنشآت كثيرة تختص بمنتجات «الأصالة».

إن خطاب الأصالة من حيث تعزيز الهوية وثباتها أمر محمود بشرط ألا يكون خطاباً يعيد إحياء الماضي باستمرار، وينتقد الحاضر (المعاصر) باستمرار.

وفي المجتمع السعودي أستطيع أن أقول إنه غني بالثقافة المعاصرة، ولكنها كانت وإلى عهد قريب تتوارى في الظل خلف ثقافة أصولية مهيمنة. إلا أن الثقافة التحديثية تصر على أن تطل برأسها، ولكن بشكل فردي. وسريعاً ما تختفي لقوة المقاومة الأصولية وضعف التحدي التحديثي. كما تنعدم الثقافة التوفيقية بين الأصولية والتحديثية في المجتمع السعودي، على خلاف ما هو حاصل في بعض البلاد. وكان على النظام أن يضطلع بمسؤوليته من خلال فتح الحوار واللقاءات الوطنية، ولا سيما أن الاستفادة من العولمة أو تلطيف ضررها يقتضي المصالحة معها، وهو ما لم يتم إلا من خلال نهج الثقافة التحديثية. فجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده لم يورثا تلاميذ لمواصلة نهجهما التوفيقي. أما ابن باز وبعض القلة من علماء الشريعة السعوديين فعلى الرغم من أصوليتهم إلا أنهم لم يفتوا بقطيعة الثقافة التحديثية إذا كانت في الجانب المادي، ما حدا بعض غلاة الأصولية على القطيعة معهم وعدهم من مشائخ السلطة.

إن المعرفة الدينية للمشائخ في المجتمع السعودي تشكل صنفاً من أصناف رأس المال، وجزءاً من أجزاء السلطة، وقيمة معنوية تهدي صاحبها الوجاهة والنفوذ الاجتماعي. فالشيخ في المجتمع السعودي يحظى بالتقدير والاحترام والثقة. وهو مرجعية في توضيح الحلال والحرام.

كما يعتبر المجتمع السعودي المشائخ عامل ضغط على الحكومة. وكثيراً ما يلجأ إليهم الناس في شكواهم من تصرفات أجهزة الحكومة. وكثيراً ما يفاتحون الملك أو أعضاء المجلس العائلي في حاجات الناس ومطالبهم بما يسمى الشفاعة.

إن تبدل الواقع يفترض السعي لإيجاد مخرج للتناقض الحاصل في المجتمع من دون المساس بثوابت الأمة الإسلامية التي لا اجتهاد فيها. والتماهي والتطابق مع الحضارة الغربية أو غيرها من الحضارات غير الحضارة الإسلامية أمر غير مطلوب، بل المطلوب الاستفادة من المنجز الغربي المادي الذي لا يقل أهمية، وهو يعطي المسلم الدليل على أن الغرب لا يعاديه، حتى تصبح الثقافة العربية الإسلامية كسابق عهدها مصدر إشعاع للإنسانية، ومصدراً إبداعياً. وعند بلوغ هذا المستوى سيقعد الغرب والشرق في صفوف الدرس للتلقي منها كما كان العهد في السابق.

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

تمهيـد تاريخـي
محددات تكوّن الكيان السعودي

منذ انتقال مركز الخلافة إلى الكوفة لم تجتمع الجزيرة العربية على نظام سياسي مركزي إلا في عصور متأخرة عندما اتفق الشيخ محمد بن عبد الوهاب مع الأمير محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية عام (١١٥٨هـ ـ ١٧٤٥م)[١]، وذلك في قرية الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى التي أصبحت الآن ضمن امتداد النطاق العمراني لمدينة الرياض، عاصمة الدولة السعودية الحديثة.

وكان هذا الاتفاق هو بداية انتباه التاريخ للجزيرة العربية، وبالذات عندما بدأ المركز العثماني يحس بخطرها عليه. وتحت هاجس هذا الخطر بالذات انتدبت الدولة العثمانية والي مصر محمد علي للقضاء على الحركة السلفية في نجد عام (١٢٢٣هـ ـ ١٨١٨م)[٢]، حيث أسرت الحملة المصرية الأمير عبد الله بن سعود إمام الدولة السعودية الأولى، وقُتل بالآستانة. كما أسرت الحملة بعض أسرة آل سعود، ومنهم تركي الذي استطاع أن يفر من الأسر بعد سبع سنوات من اعتقاله، ويتوجه إلى نجد، ويلمّ شتات رجاله. فاسترد الرياض التي اتخذها عاصمة له، وبهذا بدأت الدولة السعودية الثانية،

---

(١) مديحة أحمد درويش، **تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين** (جدة: دار الشرق، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ص ٢٤.

(٢) انظر: أحمد عسّه، **معجزة فوق الرمال**، ط ٣ (بيروت: المطابع الأهلية اللبنانية، ١٩٧١).

Twitter: @abdullah_1395

والتي انتهت عام (١٣٠٩هـ ـ ١٨٨٨م)، إذ استطاع ابن رشيد، حاكم حائل، احتلال الرياض[٣].

وقبل ذلك كانت الجزيرة، وبالذات القسم الذي تشمله المملكة العربية السعودية الآن، موزعة إلى مناطق عدة، كل منطقة يحكمها حاكم مستقل. فالحجاز خاضعة لحكومة الأشراف، والرياض خاضعة لإمارة ابن سعود، وحائل لإمارة ابن رشيد، والأحساء لحكومة السلطة العثمانية، وعسير لإمارة آل عايض، وجيزان للإدريسي[٤].

وقد توحدت المملكة العربية السعودية بكيانها السياسي الحالي الذي يضمّ معظم شبه الجزيرة العربية عام (١٣٥١هـ ـ ١٩٠٢م)، وفي هذا التاريخ بدأت أهمية الجزيرة العربية كمركز لظاهرة القوة الجديدة للعرب (البدو)، واستمر الكفاح من أجل التوحيد العقائدي والمكاني، وذابت الأقاليم السابق ذكرها، وبدأ انصهار الولاء القبلي والإقليمي في ولاء ذي مضامين سياسية وإدارية ـ على الرغم من بعض الرواسب التي أخذت تتسع في ما بعد ـ ما رشح ثبات الدولة، وتشكل المجتمع في كيان سياسي واحد.

(٣) انظر: أمين سعيد، **تاريخ الدولة السعودية** ([القاهرة]: دار الكاتب العربي، [د. ت.]).

(٤) انظر: أبو القاسم علي بن حسن بن عساكر، **المجد في تاريخ نجد** (الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م).

Twitter: @abdullah_1395

الفصل الأول

المحـدد السياسـي والدينـي:
الدعـوة السلفيـة (الوهابيـة)

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

تمثل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سمة بارزة في التاريخ الحديث للجزيرة العربية، وهي التي انتشرت في القرون الثلاثة الأخيرة منه، واستطاعت أن تطبع مجتمعات الجزيرة بسماتها. لذلك لا يمكن للباحث في تاريخ هذه الجزيرة أو حاضرها إلا أن يستحضر هذه الحركة لما لها من أثر تجاوز الجزيرة ليمتد إلى باقي أرض الإسلام. ولا نجافي الحقيقة إذا قلنا إن العالم الإسلامي الحديث، وفكره على وجه أدق، مدين إلى الحركة «الوهابية»، فهي التي افتتحت حركة الإحياء الإسلامي في عصوره المتأخرة. فعلماء الإسلام المجددون كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده والكواكبي وخير الدين التونسي، والحركات الإسلامية اللاحقة كالمهدية والإدريسية والسنوسية مدينون بحق لحركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

لقد أشعلت جذوة الفكر الإسلامي التجديدي، وتأثرت بها كافة أقطار العالم الإسلامي من مراكش غرباً حتى الهند شرقاً، سواء من قاوم هذه الدعوة كالخلافة العثمانية، أم تجاوب معها كالسلطان محمد بن عبد الله: سلطان المغرب (١٧٥٧م ـ ١٧٩٠م)[١]، كما اعترف بصلاحيتها غير المسلمين، إذ امتدحها زعيم الهندوس جواهر لال نهرو كونها أحيت الإسلام بعدما بهت ضوؤه في الجزيرة العربية[٢].

أصبحت الحركة الوهابية الباعث لليقظة العربية بما بثته في قبائل الجزيرة العربية من ثقة واعتداد بالنفس، وقدمت إنجازاً فريداً للوحدة العربية. ولسوء الحظ فإن الثورات العسكرية القطرية اللاحقة لهذه الحركة قعدت بها همتها أن تواصل مسيرة الوحدة. لقد كانت ديمقراطية الإسلام المتمثلة بالأخوة الإسلامية من خلال تحقيق العدل والمساواة بين جميع المواطنين من المسلمين بمثابة

(١) محمد بن صنيتان، **بحوث ودراسات اجتماعية** (القاهرة: دار المعارف، [د. ت.])، ص ٣٢.

(٢) جواهر لال نهرو، **لمحات من تاريخ العالم** (القاهرة: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٧)، ص ٣٢٤.

Twitter: @abdullah_1395

السحر والجاذبية للقبائل في وسط الجزيرة العربية التي تحولت من الاقتتال والتعصب للقبيلة إلى الأخوة في الإسلام والتعصب للمواطنة.

سئمت القبائل التقاتل والتناحر، وأدركت أهمية التحول الجديد نحو الوحدة، فوجدت في عبد العزيز القائد الذي يمكن أن تلتف حوله بقية القبائل العربية. وقد أثمرت هذه الوحدة ما تعيشه الآن المملكة من قوة اقتصادية وديمومة تنموية، على الرغم من معاول الهدم من البيروقراطية الإقليمية.

قبل توحد المملكة العربية السعودية، وخلال الحرب العالمية الأولى والثانية تحديداً أصبحت الجزيرة العربية مسرحاً للمؤامرات الدولية، إلا أن الملك عبد العزيز استطاع أن ينتزع الاعتراف به وباستقلاله، ولا سيما من الإنكليز على الرغم من وجودهم المكثف الملتف حول الجزيرة العربية التفاف السوار بالمعصم، حتى أصبح الملك عبد العزيز الحاكم المطلق للمملكة العربية السعودية، وفي هذا يقول جواهر لال نهرو: «نجح ابن سعود كجندي ومحارب، كرس كل جهوده لبناء بلاده على أسس عصرية حديثة»[٣].

وعلى الرغم من أصالتها فإنها لم تحظ بالقدر الكافي من الدراسات الغربية، قبل غزوة منهاتن من المحسوبين على الوهابية. وقد يكون ذلك عائداً إلى ثلاثة أسباب:

السبب **الأول**: أنها حركة أصلية بكر، لم تلتق بعد بالآخر في معناه الذي سيعرف في ما بعد، أي الغرب. أما بعد غزوة منهاتن في ١١ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١ فقد جذبت الكثير من الدراسات ومن الميديا العالمية. فهذه الحركة واجهت آخر هو «المُسلم» الذي لم يعد مسلماً في نظرها تحت وطأة الشرك، بحسب تفسيرها.

إنها حركة إحياء داخلي بالأساس، فهذه الأسبقية الزمنية المبكرة أفقدتها بعض بريقها.

السبب **الثاني**: ما عرفته الحركة الوهابية في آخر تعبيراتها مع نشأة الدولة السعودية أساساً عام ١٩٢٦م، حينما تولّت، ضمن ملابسات معقدة،

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٤.

Twitter: @abdullah_1395

تأديب «المنحرفين» من شطط ومغالاة، فحملت محمل التطرف الذي هولته مراسلات القناصل الأجانب والقوى الإقليمية ذات المصالح المتباينة.

السبب **الثالث**: ما عرفه العالم الإسلامي من انتشار لحركات دينية سياسية يُرجعها البعض أو ترجع نفسها بشكل أو بآخر إلى الوهابية، ناهيك عن أن حركة الجهاد الشيشاني توصف لدى الإعلام الغربي بالوهابية.

فالحركة الوهابية هي حركة سلفية محض عملت على الاجتهاد من داخل المنظومة الفقهية للإسلام السني أساساً، ولم تُشر من قريب أو بعيد إلى الغرب كمرجع فكري أو حضاري، وعلى الرغم من الطابع الديني للحركة فإن البحاثة اختلفوا في تحديد ماهيتها.

يقول محمد كامل ضاهر: «رأى بعضهم أنها حركة دينية خالصة تريد الرجوع إلى صفاء الإسلام الأول، وأنها لهذا السبب خاضت حرباً شعواء ضد كل أنواع الشرك والفساد، وتصدّت لجميع البدع التي انسابت إليه من الديانات الأخرى».

ورأى البعض الآخر أنها حركة سياسية كانت تهدف إلى سلخ نجد والبلاد العربية عن الخلافة العثمانية، وإقامة دولة مستقلة فيها تحت راية الإسلام النقي، وأنها اتخذت من الدين وسيلة لتحقيق هذا الهدف.

لكن فريقاً ثالثاً قال بأنها مزيج من الدين والقومية، لأنها كافحت في هذين الميدانين، واستطاعت أن تقيم دولة، وتوجد نظاماً مبنياً على الإسلام ضمن الإطار السلفي.

والواقع أن الدعوة الوهابية مزيج من هذا كله. فهي، كما وصفها المستشرق الفرنسي لوتس، حركة إصلاح وتجديد في السياسة والدين. فهي من ناحية تهدف إلى إصلاح الإسلام وتطهيره من البدع والفساد، وهي من ناحية أخرى تريد إرجاع مجد المسلمين الأوائل، وتوحيد البلاد العربية، والقضاء على الخلافة العثمانية. وكان لها في هذين الميدانين أثر بالغ على نطاق العالم الإسلامي كله[٤].

---

(٤) محمد كامل ضاهر، **الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث** (بيروت: دار السلام، ١٩٩٣)، ص ٢٨.

Twitter: @abdullah_1395

وبعيداً عن شطط بعض المنتسبين لها فإننا نؤكد قوميتها من خلال استقلالها عن الدولة التركية، وقوة عقيدة التوحيد فيها. إلا أن ثقافة المنتسبين لها ـ الصحراوية والمنغلقة على نفسها وعدم انفتاحها على الآخر المسلم حتى من أبناء الجزيرة نفسها ـ كل ذلك أساء إلى سمعتها كحركة توحيدية ووحدوية وقومية فرضت وجودها السياسي والمذهبي على التاريخ والجغرافيا بنظرية حدية بالغة الحدية.

أولاً: نشأة الدعوة

نشأ الشيخ نشأة دينية كما ذكرنا في بيت عرف بالعلم والتقوى، فقرأ الفقه الحنبلي، وحفظ القرآن، ثم توسعت معارفه لتشمل فقه المذاهب الأخرى والتفسير واللغة والتاريخ.. إلخ. ارتحل في شبابه، وزار مدناً عدّة عرفت داخل الجزيرة وخارجها كمكة والمدينة والبصرة وغيرها[٥].

إن تسمية الوهابية لم ترد أبداً في كتابات الشيخ أو كتابات أتباعه، فهي تسمية وردت في الأصل على ألسنة خصومهم، ثم تلفظت بها الألسنة في ما بعد من دون أن يكون ذلك صادراً بالضرورة عن معاداة.

ويقول في الصدد نفسه محمد حامد الفقي: «لننظر كيف ولماذا أطلق هذا اللقب على هذه الدعوة والقائمين بها، علّنا نوقف القارئ على بعض السر الذي دعا إلى استعماله، ثم إلى شيوعه في الأقطار العربية وغيرها، إلا نَجْد أو ما يتصل بها. فإن من أعجب العجب أنك لا تجْد لهذا اللقب أثراً فيها، ولا عند النجديين النازحين عنها إلى غيرها للتجارة أو الإقامة أو الاستيطان. لا بل والأعجب من هذا أنهم يستنكرون ذلك ممن يخاطبهم به، أو ينسبهم إليه، وأنهم جميعاً من ملوكهم وأمرائهم ومشائخهم ـ الذين أكثرهم من آل الشيخ محمد ـ وتجارهم وعامتهم يطلقون على أنفسهم، من حيث الوطن والقطر، «نجديين»، ومن حيث المذهب والعقيدة «حنابلة».

وأنا لا أجد غضاضة في استخدام هذا اللقب لأسباب ثلاثة:

---

(٥) محمد حامد الفقي، **أثر الدعوة الوهابية** ([القاهرة]: مطبعة النهضة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م)، ص ٤ ـ ٥.

Twitter: @abdullah_1395

ـ أنها اشتهرت بهذا الاسم سواء من قبل خصومها أم المدافعين عنها.

ـ أنها نسبة إلى مؤسسها، كنسبة المذاهب إلى مؤسسيها؛ الحنبلي، الحنفي، المالكي، الشافعي.

وعندما تذكر بهذا الاسم لا يعني أنها أتت بدعة من الدين، بل ميزة لها لكونها تحاول إرجاع مسيرة المجتمع الإسلامي إلى ما كان عليه السلف؛ أي ما كان عليه الرسول (ﷺ) وأصحابه (رضي الله عنهم). وهذا هو السبب الرئيس لتسمية فقهاء الدعوة لها بالسلفية.

ـ ثم دعوتها بالوهابية من قبل أهلها هي قطع للطريق على أولئك الذين ينعتوها بهذا اللقب كمذمة لها، فإذا استعمل هذا اللقب من قبل أهلها، وأصبحوا يتنادون به انتفت سمة المسبة من جراء هذا اللقب.

ومن الآن فصاعداً سيقع ذكر الوهابية عند الحديث عنها من دون حرج من هذا اللقب، بل يكون هذا الأخير سمة وشهرة لنهج الدعوة.

ثانياً: مبادئ الدعوة

على الرغم من عسر اختصار المبادئ التي قامت عليها هذه الدعوة لغزارة كتاباتها وكتابات أتباعها فإنه يمكن إجمالاً أن نحدّد مبادئها على النحو التالي:

١ ـ التوحيد.

٢ ـ فتح باب الاجتهاد.

٣ ـ محاربة البدع.

٤ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

١ ـ التوحيد

يُعدّ التوحيد الأساس المحوري الذي عليه بني الإسلام، وهو الذي يصوغ النظرة الإسلامية إلى الوجود، لذلك فإنه لا يمكن فهم الإسلام أو الانتماء إليه من دون الوقوف على حقيقة معنى التوحيد. إلا أن مؤسس

الحركة ومن بعده أتباعه غالوا في فهم التوحيد، ما جعلهم يرمون بالكفر كل من خالفهم حتى من أهل نجد نفسها. وذلك راجع إلى طبع الشيخ الحاد والذي لا ينكره المعاصرون له، وتثبته رسائله إلى غير المتوافقين معه. وكذلك راجع إلى ثقافة أتباعه الصحراوية المنغلقة على النفس والمكان.

غير أن تنبّه الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى خطورة مسألة التوحيد التي لم تصدر عن تنظير فلسفي محض، بل صدرت أساساً عما عاينه خلال مختلف رحلاته من انتشار للخرافات والطقوس التي تصل أحياناً إلى مرتبة الشرك، فنجم عن ذلك تشوّه في عقيدة التوحيد وتفتت في الكيان السياسي والاجتماعي، أدى إلى رَبط الشيخ بين التوحيد العقائدي والتوحيد السياسي الذي سنعرض إليه لاحقاً.

لقد انتشرت في أرجاء الجزيرة العربية ـ بل في أنحاء العالم الإسلامي ـ ممارسات تخرج عن مقتضيات التوحيد. «لقد رآهم ينذرون ويتعبدون ويذبحون لغير الله، ويتخذون من بعض المتعبدين أولياء لهم يطوفون بأضرحتهم، ويستغيثون بهم، ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكربات.. إلى غير ذلك من الطقوس الغريبة عن الإسلام كل الغرابة»، كما جاء في رسائله إلى معاصريه.

لذلك كان أول ما كتب الشيخ هو **كتاب التوحيد** الذي تصدى فيه لمظاهر الشرك، في رأيه، السائدة آنذاك، باسطاً في الآن نفسه آراءه في التوحيد اعتماداً على آيات القرآن والأحاديث الصحاح من السنة. ولم تنحصر مواقف الشيخ من التوحيد في هذا الكتاب فحسب بل امتدت إلى ثنايا كل ما ألّف[٦].

استناداً إلى هذا الكتاب وغيره يمكن أن نحدّد للوحدانية ثلاث شعب:

أ ـ وحدانية العبادة[٧]: يقول الشيخ بأن العبادة لا بد أن توجه إلى الله وحده، وألا يشرك معه أحد، وهذا معنى لا إله إلا الله: ﴿**وأنَّ المساجدَ لله فَلا تَدعوا مَع اللهِ أحداً**﴾[٨].

---

(٦) ضاهر، المصدر نفسه، ص ٩٦.

(٧) انظر: محمد بن عبد الوهاب، **التفسير ومختصر زاد المعاد** (الرياض: مطابع الرياض، [د. ت.]).

(٨) **القرآن الكريم**، «سورة الجن،» الآية ١٨.

Twitter: @abdullah_1395

وينجم عن وحدانية العبادة مسألتان:

ـ ألا يعبد إلا الله؛ لأن إشراك أي شخص أو شيءٍ في عبادته معناه الكفر بما أوصى به في كتابه وعلى لسان رسوله (ﷺ)، إذ هو الإله الحق المستقل بالربوبية، ومن سوّى بينه وبين أحد المخلوقات في شيءٍ من العبادة فقد أشرك.

ـ أن نعبد الله حسبما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله (ﷺ)، وأن ننتهي عن تقديس أي مخلوق أو شيءٍ آخر حتى يغدو شريكاً في العبادة.

وأسّس الشيخ محمد بن عبد الوهاب على مفهوم وحدانية العبادة ثلاث مسائل كان ابن تيمية قد أثارها وهي:

ـ منع التقرب إلى الله بالأولياء الصالحين.

ـ منع الاستغاثة والتوسل إلى الله بالموتى من البشر، وبالأشياء المخلوقة والأحجار والأشجار وغيرها.

ـ منع زيارة قبور الصالحين والأولياء والأنبياء للتبرك والتقديس.

ب ـ وحدانية الخلق والتكوين: وتعني هذه الوحدانية أن الله هو خالق جميع الكائنات، لا شريك له في الملك، ولا منازع له في السلطان، ولا إرادة لأي مخلوق تنازع إرادته.

ويندرج تحت هذا القسم من الوحدانية قضايا الجبر والاختيار والخير والشر والعدل الإلهي.

ج ـ وحدانية الذات والصفات: تعني وحدانية الذات في الإسلام عدم مماثلة الله لأي شيءٍ أو مساواته بأحدٍ من خلقه، فذاته السامية لا تتبعض؛ لأنها ليست مركبة من أجزاء كبقية المخلوقات، ولا تتكيف؛ لأن العقل عاجز عن إدراك ماهيتها ﴿**ليسَ كَمثلِهِ شيءٌ وَهُوَ السَّميعُ البصير**﴾[٩].

وإذا كان الإجماع حاصلاً حول معنى وحدانية الذات، فإن الخلاف يتصل أساساً بأوصاف الذات الإلهية أو ما عُرف بالصفات: كالعلم والحياة والقدرة

(٩) المصدر نفسه، «سورة الشورى،» الآية ١١.

Twitter: @abdullah_1395

والإرادة والسمع والبصر والكلام واليد والعين والاستواء والعُلو. . إلخ.

كان الإمام محمد بن عبد الوهاب شديد الرجوع إلى الإمام أحمد مباشرة في مسألة الصفات، وهو موقف يلجأ إليه كلما أشكل عليه أمر في العقيدة. فهو يُقر أن الإيمان بالله يقتضي الإيمان بما وصف الله به نفسه أو ما ورد على لسان رسوله (ﷺ) من دون تحريف أو تأويل أو مشابهة أو تمثيل.

لقد نزه الشيخ محمد بن عبد الوهاب الألوهية من دون تعطيل، وعارض التجسيم لأنه منافٍ للتوحيد والتنزيه لأن الجسم يقبل الانقسام والتجزئة ومحتاج لأن تقوم به الأعراض، وهو ينافي التنزيه لأن الله لو كان جسماً لكان مُدركاً حسّاً.

٢ ـ فتح باب الاجتهاد

على عكس الرأي الشائع الذي يجعل من كل دعوة سلفية محرومة من الاجتهاد، بل هي ركون إلى تقليد السلف فحسب، فإن الوهابية ترى في الاجتهاد الحقيقي مصدراً رابعاً للشريعة الإسلامية بعد القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع والقياس.

ويفيد الاجتهاد الرأي الشخصي الذي يبديه عالم الشريعة في ما لا نص فيه، أي في ما سكت عنه القرآن ثم السنة.

فالاجتهاد مجاله: «ما لا نص فيه». فالقرآن والسنة لم يُعنيا بدقائق الحياة وتفاصيلها وجزئياتها حتى يُصدرا أحكاماً فيها، بل وضعا قواعد عامة بها يلتزم العلماء عند استنباط الأحكام في ما يستجدّ من مسائل.

غير أن اجتهاد الدعوة الوهابية التي تنمّي الرأي أو العقل أو القياس يخضع وُجوباً لقواعد القرآن والسنة، ويكون هدفه الإلمام بما يستجد من مسائل اقتضتها تطورات الحياة. ولهذا عدّها المستشرق المجري المعروف غولدتسيهر العقل الساهر على نموالشريعة الإسلامية وازدهارها.

ولمّا كان العقل يتدبر المسائل فإن التقليد في جوهره يشل العقل بما هو قدرة على هذا التدبّر، فهو يعطلها عن استنباط المعاني وتحليلها، فتضل عن الحقيقة.

Twitter: @abdullah_1395

٣ ـ محاربة البدع

كانت العادات والأعراف والتقاليد تمثل مرجع السلوك والتصرف بالنسبة إلى عرب الجاهلية، فهي التي تشكل القواعد الحاسمة في الحكم على سلامة فعل ما. وكان الذي يشذ عن هذه القواعد عرضة إلى شتى أنواع العقوبات. ولقد ناهض الإسلام العديد من هذه العادات والأعراف والتقاليد، وأبقى على البعض منها، يقول الرسول (ﷺ): «إنما بُعثتُ لأتمم مَكارمَ الأخلاق». ولقد جاهد النبي (ﷺ) ومِن بعده خلفاؤه لاجتثاث الفاسد من تلك الأعراف، غير أننا على الصعيد الأنثروبولوجي والتاريخي نفاجأ أحياناً في الكتابات العديدة ببروز الأعراف والتقاليد الفاسدة في سلوك الأفراد والجماعات بين الفينة والأخرى كالنعرة القبلية، والتفاخر، والاقتتال القبلي، ومظاهر الزينة والترف، والاستغلال والتحيز للإقليم أو القرية أو الأسرة، والاستحواذ على المال كي يكون دولة بين القلة من الناس، إلى جانب أمور عديدة تتعلق بالإيمان والعقيدة. .

ولقد استفحلت هذه الظاهرة تدريجياً، وخصوصاً مع «احتكاك المسلمين العرب بغيرهم من الأمم والشعوب، كالفرس واليونان والرومان إلى تبدل جذري في أنماط الحياة التي كانوا يمارسونها أيام النبي (ﷺ) وصحابته الكرام (رضي الله عنهم) في الصحراء»، واضطروا في أحيان كثيرة إلى إعادة النظر في ولائهم المطلق للسنة النبوية وإقرار بعض البدع التي استقوها من عادات الشعوب الأخرى.

وكانت هذه البدع لا تمس أمر المعيشة بل تشمل ـ وهو الأخطر ـ أمر العقيدة كما أسلفنا الذكر. ولعل أكبر بدعة هي تعظيم الأولياء وتقديسهم، وهي البدعة التي شكلت المجال الأهم في مشروع الدعوة الوهابية. يقول محمد ضاهر: «انتشرت هذه البدعة في الأوساط الشعبية الإسلامية عبر العصور، وأصبحت لها طقوس وتقاليد تختلف باختلاف البلدان والشعوب. وتقوم أساساً على الاعتقاد بأن الله فاطر السماوات والأرض بعيد كل البعد عن مخلوقاته الأرضية وهمومها، وأن الأولياء الذين يتمتعون بمنزلة سامية عند الله هم وسطاء بينه وبين البشر، ولديهم القدرة على تحقيق آمال هؤلاء البشر وتطلعاتهم في هذا العالم الأرضي.

Twitter: @abdullah_1395

أدّت هذه الحاجة النفسية المتمثلة بملء الهوة الفاصلة بين المؤمن السّاذج ورغباته الحياتية من ناحية، وبين الألوهية السامية من ناحية أخرى، إلى نمو سريع لبدع تقديس الأولياء وانتشارها في كل بقعة من بقاع العالم الإسلامي. وقد سيطرت قداسة هؤلاء الأولياء على عقول الناس وعواطفهم، وأصبحوا موضعاً للتكريم والإجلال تقدم إليهم القرابين، وتنذر لهم النذور، وترفع إليهم الأدعية وفق شعائر معينة، وتبث القصص الخيالية عن خوارقهم»[١٠].

وليت هذا النزوع إلى عدم تقديس الأموات امتد إلى عدم تقديس الأحياء كذلك.

٤ ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

يُعدّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد المبادئ المهمة للحركة الوهابية امتثالاً للآية الكريمة: ﴿**كُنتم خَير أُمةٍ أُخرجَتْ للنَّاسِ تَأمرونَ بالمعروفِ وتَنهونَ عَن المنكَرِ**﴾[١١].

فالإسلام لا يستوطن النفوس والعقول والأوطان إلا إذا كان دعوة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيتجاوز مجرد التأمل الباطني إلى الفعل الاجتماعي، فيغدو علاقات متبادلة على قاعدة الشريعة الإسلامية. فالغرض من هذا المبدأ هو إشاعة الخير، ونشر الفضائل الأخلاقية. غير أنه، وفي الآونة الأخيرة، لم يمارس من خيرية الأمر بالمعروف إلا المظاهر البوليسية وسوء الظن بالناس والتشهير بسمعة المسلم والمسلمة. على الرغم من أن الحسبة في الإسلام لها سلوكها في ضبط المجتمع سياسياً واقتصادياً واجتماعياً. يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب قولته المشهورة: «وأدى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توحي به الشريعة».

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس أمراً موكولاً إلى رغبة الأفراد، بل هو واجب يلزم المسلم.

وقد شدّدت الحركة الوهابية خصوصاً على النهي عن المنكر، فإذا كان

---

(١٠) ضاهر، **الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث**، ص ٧٧.

(١١) **القرآن الكريم**، «سورة آل عمران،» الآية ١١٠.

Twitter: @abdullah_1395

حمل الناس على الإحسان غير واجب، ما يقتضي مجرد الدعوة إليه فحسب، فإن النهي عن المنكر واجب؛ لأن المنكرات قبيحة، فإذا انتشرت عمّ الفساد والخراب.

ومن الواجب حينئذٍ النهي عن القبائح التي نهى الله عنها لأجل توفير السعادة للخلق حتى يتسنى لهم أمر تواصل حياتهم، والإنسان حينما ينهى عن القبائح إنما يَدفع عن الآخرين الأذى والضرر الذي يصيبهم.

قرر الوهابيون هذا المبدأ على جميع المسلمين، ولم يجعلوه مجرد فرض كفاية، وذلك ربما لنشر دعوتهم أولاً باعتبارها دعوة الإسلام ومبادئه الحقيقية. ثم سرعان ما كونت جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تصدت عملياً للمنكر في الشارع السعودي. وكان ذلك مبكراً، وهو فعل يحرس الفضيلة أن تؤذى أو تزهق روحها، كما أنها صيانة لحياء الإسلام أن يخدش بانتشار الرذيلة.

وخيرية الأمة المسلمة لا تقتصر فقط على إقفال الأسواق من قبل وقت الصلاة بوقت طويل وسوق الناس إلى المساجد، ما يدفع الناس إلى الطرقات جزافاً، وفضح الناس، والتدخل في خصوصياتهم وقوامتهم على أسرهم وذويهم، والشك في محارمهم، بل الشك في كل الناس ما لم يثبت العكس بعد القبض والتحقيق ـ وقد حفظ الإسلام كرامة الإنسان وصون حرمته في عرضه وماله ودمه وحريته ـ بل تتأتى الخيرية في معالجة الفساد في استغلال المال العام، وسوء التصرف في الوظيفة العامة والاستحواذ عليها وكأنها من ممتلكاته الشخصية، وتكريس مبدأ الشورى في مصالح الناس، وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص والمشاركة السياسية وحرية التعبير المنضبط بمصالح الناس والدولة.

ويرى ضاهر أن لبعض المقالات والتشددات التي وقعت فيها أحياناً هذه الجماعة سبباً في ما تعرضت له الحركة من نقد، إذ هاجموا بعنف المشاهد والقبور التي اتخذها بعض المسلمين أماكن لممارسة الأعمال المنافية للإسلام في رأيهم. ولا تزال جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المملكة العربية السعودية تقمع كل منكر تراه بين الناس اعتقاداً منها بوجوب إفهام الناس حقائق دينهم ومبادئه الحقيقية وزرع الهداية في نفوسهم. وفي الآونة

Twitter: @abdullah_1395

الأخيرة اشتطت دوائر الهيئات بفعل سلوك بعض المنتسبين لها لدرجة الاحتقان بين المجتمع ورجال الهيئات. ولا أدري كيف ستتصرف الدولة السعودية في المواءمة، مع التحول الجديد بدخول المملكة طرفاً في التجارة الدولية، بين سلوك بعض رجال الهيئات ومخرجات العولمة ذات الأديان المتعددة.

والإسلام لا يُكرِه الناس على الإيمان ﴿**أفأنت تُكره الناس حتى يكونوا مؤمنين**﴾[١٢]. وعلى الرغم من ذلك نستطيع القول إن الوهابية استطاعت أن تبني هوية دينية سياسية أدّت دوراً متميزاً في رسم ملامح الدولة، فقد واجهت الطقوس الوثنية والأعراف المحلية النازعة إلى بناء تجمعات قبلية في شبه الجزيرة العربية (نجد)، فتحددت مهمة الدعوة في الدفاع عن التوحيد الخالص ونبذ كل ما سواه من العبادات والطقوس والأعراف المحلية والشعائر الصوفية والتشيع لغير أهل السنة والجماعة بكافة أشكاله.

وقد أدت الحركة الوهابية أدواراً متعددة، إذ استطاعت أن تقيم دولة في نجد امتد نفوذها إلى حدود مساحة الجزيرة العربية وعلى امتداد ثلاثة عهود زمنية.

لقد نتج من الدعوة الدينية، والقوة التي حمت الدعوة، قوة سياسية تولدت منها الدولة التي استطاعت أن تصالح بين السياسي والأيديولوجي السني، فقد أحيت العمل على طريقة السنة والجماعة الذي كاد يندرس في صحراء الجزيرة العربية ورمالها. واستطاعت إعادة المركز السياسي الذي هو الآخر غاب إلى حين ثم عاد بقوة، واستطاع أن يجمع القبائل على ولائه ويشرذم من استعصت على الانقياد والطاعة له.

كانت الدولة السعودية الأولى والثانية تقومان على سلك العلماء ونفوذ شيوخ القبائل وقواعد سلوك القبائل التي تتفق عليها جميعاً.

لقد اختطت الوهابية منهجاً محدداً، فقد ربطت الدعوة بين التوحيد في المعتقد وفي المجتمع، وقد تجنبت الوهابية الوسطاء والفروع، وعادت مباشرة إلى الأصل، ومن هذه العودة واجهت جدلاً لا ينتهي ضد أشكال العبادة التي تتنكب التوحيد الخالص.

---

(١٢) المصدر نفسه، «سورة يونس،» الآية ٩٩.

Twitter: @abdullah_1395

وجعلت الدعوة من هذا الاعتقاد التوحيدي أساس التعليم، حيث جعلت أس التوحيد تعلّم معنى (لا إله إلا الله). وأوضحت أنها نفي وإثبات، تنفي المعبودات كلها، وتثبت العبادة لله وحده لا شريك له، وضده الشرك الذي هو ضعف في التجريد الذي يقود إلى التبرك أو العبادة لغير الله سواء أكان شخصاً أم مكاناً أم شجراً، وكل ما سوى غير الخالق تبارك وتعالى. وقد وصمت الدعوة كل ما تماهى مع ذلك بالكفر والجاهلية، مثبتة العبادة لله وحده، نافية عنه كل أنواع الوسطاء.

وأكدت الدعوة الوهابية التوحيد القائم على اتباع الأصل الثابت ومحاربة الوسطاء، فحرص رجال الدعوة على الأصل والاتصال المباشر به، ورفض كل أشكال العبادة التي تتنكب التوحيد الخالص كما فهم مشايخ الدعوة. فمعنى (لا إله إلا الله) نفي وإثبات، حيث تنفي المعبودات كلها إلا الله، وتثبت العبادة لله وحده لا شريك له، وقد قامت دعوة التوحيد على أنقاض عبادة التوسل ورجاء الوسطاء ﴿**ما نعبدهم إلا ليقرّبونا إلى الله زُلفى**﴾[١٣].

من هنا ظهرت الدعوة إلى وجود ظاهرة الشرك الذي فشا في نجد، فقصد القبور وإحاطتها بمظاهر التقوى والتذلل لها، والدعاء أمامها. كل ذلك مناف للتوحيد الخالص الذي هو المبدأ الأساس لقيام الدعوة الوهابية.

(١٣) المصدر نفسه، «سورة الزمر،» الآية ٣.

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

الفصل الثاني

المحدد الاقتصادي (النفط)

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

بدأ إنتاج النفط في الجزيرة العربية منذ ثلاثينيات القرن العشرين، وكان في السعودية على وجه التحديد في عام ١٩٣٨م، غير أن تصديره بكميات تجارية وذات أهمية مالية لم يكن قبل عام ١٩٥٠م. وظل محدود التأثير على الصعيدين الاقتصادي والاجتماعي على الرغم من مساهمته المهمة في إيرادات الدولة. ولم يتغير الأمر جذرياً سوى بعد الحرب العربية ـ الإسرائيلية عام ١٩٧٣م، حيث حققت عائدات الدولة السعودية مستوى لم يكن له مثيلاً في ما سبق. ونستطيع أن ندّعي أن «عصر النفط» الحقيقي قد بدأ فعلاً حينها[١].

وكما يرى خلدون النقيب: «في عام ١٩٧٣م، وهو بداية تأثير السياسة السعرية الجديدة والمقاطعة النفطية لأمريكا، يمثل هذا المتوسط ثورة سعرية حقيقية إذا ما قورن بالسنوات الماضية، وبدأت تتشكل **أولاً** ريعية النفط،

---

(١) اعتمد هذا الفصل على قراءة بعض المراجع، منها على سبيل الذكر وليس الحصر: الشركة العربيه الأمريكية (آرامكو): **صناعة الزيت وتطورها في المملكة العربية السعودية** (الظهران: آرامكو، ١٩٩٩)، ص ١١، **والتقرير السنوي ـ ١٩٨٨** (الظهران: آرامكو، ١٩٨٨)، ص ٥؛ عبد العزيز الصويغ، **أزمة الطاقة إلى أين** (جدة: [د. ن.]، ١٤٠٠هـ/ ١٨٨٠م)، ص ٥٤؛ عبد الرحمن البيضاني، **مأزق اليمن في صراع الخليج** (القاهرة: دار المعارف، ١٩٩١)، ص ٥٥؛ عبد الله الطريقي، **البترول العربي سلاح في المعركة** (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٧)؛ عبد العزيز مؤمنة، **البترول والمستقبل العربي** ([تهامة، جدة: المؤلف، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م])، ص ١٣٣؛ أحمد محمد طاشكندي، **منظمة الأوبك** ([د. م.]: مطابع الشروق، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م)، ص ١١؛ خالد بن محمد القاسمي، **أثر البترول والغاز الطبيعي في التنمية الاقتصادية في دولة الإمارات العربية المتحدة** (الكويت: دار الشباب، ١٩٨٦)، ص ٢٥؛ الطاقة والتعاون العربي: مؤتمر الطاقة العربي الثالث، تنظيم منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك)، الجزائر، ٤ ـ ٩ أيار/ مايو ١٩٨٥، ص ١٦؛ منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك)، **التقرير الإحصائي السنوي، ١٩٩١** (الكويت: المنظمة، ١٩٩١)، ص ١١٢؛ **العائدون من حقول النفط: أعمال الندوة التي نظمها منتدى الفكر العربي حول التعاون العربي في مجال العمالة واستخدامها في حقبة التراجع النفطي**، سلسله الحوارات العربيه؛ ٧ (عمّان: منتدى الفكر العربي، ١٩٨٦)، ص ٤٣؛ أحمد طربين، **التجزئة العربية: كيف تحقّقت تاريخياً؟**، سلسلة الثقافة القومية؛ ١٤ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧م)، وأسامة عبد الرحمن، **البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية: مدخل إلى دراسة إدارة التنمية في دول الجزيرة العربية المنتجة للنفط**، عالم المعرفة؛ ٥٧ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٢)، ص ٦٧.

Twitter: @abdullah_1395

وتجسد **ثانياً** على مستوى الواقع مختلف التغيرات التي سيشهدها المجتمع السعودي، والتي ستكون عميقة وخطيرة في الآن نفسه. ولا يمكن لي أن آتي على كامل التغيرات التي أحدثها النفط لأنها عديدة وكثيرة، ما حدا البعض على الحديث عن تنفّط المجتمعات الخليجية».

ولأن آثاره ـ أي النفط ـ عديدة، فإن نظري سيقتصر على الآثار التي لها علاقة مباشرة بالمجتمع السعودي؛ أي تأثيرات النفط في الدولة والبداوة والبيروقراطية. فهذه المجالات المتعلقة بالسياسة والاجتماع والإدارة هي التي أعتقد أنها تفيد في دراسة المجتمع وتحليله، على الرغم من أن تأثيراته الأخرى في الثقافة والمعتقدات والاستهلاك.. إلخ لا يمكن لباحث رصين أن ينكرها.

ولكل الأسباب المذكورة أعلاه سأعمد إلى تفصيل القول في ما حددته من مجالات ثلاثة بعد أن أعرّف ـ الريع النفطي ـ هذا المفهوم الذي عدّه بعض الباحثين من العرب وغيرهم مفتاح فهم التغيرات الحاصلة منذ السبعينيات إلى أواخر العقد الأخير من القرن العشرين[٢].

أولاً: الريع النفطي

يقصد بالرّيع عُموماً المبلغ المالي الذي يدفع إجبارياً من قبل السكان لفائدة الحكومة أو السلطة المركزية كدليل خضوع لها. ويمكن للرّيع أن يكون كما في هذه الحال داخلياً أو خارجياً، كما حدث مع الدولة الإسبانية إبان القرنين السادس عشر والسابع عشر، حينما كانت مداخيلها تقوم على الريع الخارجي هذا من خلال ما يرد إلى خزينتها عنوة من الأمريكتين من ذهب وفضة.

---

(٢) انظر على سبيل المثال لا الحصر: خلدون حسن النقيب، **المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية (من منظور مختلف)**، مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي. محور المجتمع والدولة (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧)؛ محمد جواد رضا، **صراع الدولة والقبيلة في الخليج العربي: أزمات التنمية وتنمية الأزمات** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢)؛ مسعود ضاهر، **المشرق العربي المعاصر من البداوة إلى الدولة الحديثة**، الدراسات التاريخية (بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٦)؛ سعد الدين إبراهيم، **النظام الاجتماعي العربي الجديد: دراسة عن الآثار الاجتماعية للثروة النفطية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢)؛ محمود عبد الفضيل، **التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية في الوطن العربي: دراسة تحليلية لأهم التطورات والإتجاهات خلال الفترة ١٩٤٥ ـ ١٩٨٥** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨)، وعلي خليفة الكواري، **تنمية للضياع! أم ضياع لفرص التنمية؟: (محصلة التغيرات المصاحبة للنفط في بلدان مجلس التعاون)**، ط ٢ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦).

Twitter: @abdullah_1395

فالريع لم يرتبط بالنفط، بل هو سمة كل اقتصاد يقوم في مداخيله على موارد لم يكتسبها السكان من قوة عملهم من خلال عمليات إنتاجية تشتغل على تحويل موارد الطبيعة تحويلاً فعلياً، بل على تأجير موارد أو رهنها أو بيعها أصلاً للحصول مقابل ذلك على تلك الأموال.

وعلى الرغم أن مفهوم الرّيع ينتهي إلى الفكر الاقتصادي الكلاسيكي، فإن إعادة إحيائه وتوظيفه كانت من قبل علماء الاجتماع أكثر من علماء الاقتصاد، فكاد يكون مقولة اجتماعية أكثر منها مقولة اقتصادية. فالاتجاهات الحديثة في العلوم الاقتصادية تميل إلى تجاوز التمييز بين أثمان عناصر الإنتاج المختلفة وعدم معاملة الريع معاملة خاصة[٣].

ظل الريع ولا يزال يلاقي معارضة الاقتصاديين الكلاسيكيين أو النيوكلاسيكيين لانتفائه مع قيم الجهد والعمل.

ويوضح حازم الببلاوي المقصود بالريع بقوله: «عندما نتحدث هنا عن الريع والدولة الريعية، فإننا لا نشير إلى المعنى الاقتصادي للريع كثمن لأحد عناصر الإنتاج، وإنما نتحدث بشكل خاص عن الوظيفة أو السلوك الاجتماعي لفئة تحصل على نصيب من الناتج، دون أن تكون لها مساهمة أو مسؤولية خاصة في تحقيق هذا الناتج. فالحديث عن ظاهرة الريع هو بالدرجة الأولى حديث عن نمط للسلوك الاجتماعي [دون جهد]. . . وأخيراً، فإنه من الضروري الإشارة إلى أن نموذج صاحب الريع الذي يحصل على دخل دون مشاركة في الإنتاج أو تحمل للمخاطر، استناداً إلى بعض المزايا القانونية أو الفعلية، لا يعدو أن يكون نوعاً من التجريد. ففي الواقع، لا توجد مثل هذه النماذج الخالصة أو النقية للريع المجرد من كل أشكال الجهد أو تحمل المخاطر. ففي معظم الأحوال نجد أن عناصر الريع تختلط بعناصر أخرى من الجهود بشكل أو بآخر»[٤].

ويعرف مهدافي الريع النفطي: «باعتباره واحدة من الطرق المفيدة والمثمرة نظرياً لفهم هذا الدخل، والتي تنظر إلى دخل النفط بوصفه ريعاً

---

(٣) انظر: حازم الببلاوي، «الدولة الريعية في الوطن العربي،» ورقة قدمت إلى: **الأمة والدولة والاندماج في الوطن العربي** (ندوة)، المحرّرون غسان سلامة [وآخرون]، ٢ ج (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩)، ج ١، ص ٢٨١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٨١.

Twitter: @abdullah_1395

خارجياً؛ أي إيجاراً تتقاضاه هذه البلدان من تأجير أراضيها إلى الشركات النفطية، وهو ريع خارجي غير مكتسب ولم يتولد من العمليات الإنتاجية للاقتصاد الوطني. ويتبع ذلك منطقياً أن الدولة التي تعيش أو تعتمد في معاشها على الريع الخارجي هي دولة ريعية»[٥].

فقد أدى دخول الجزيرة العربية عصر النفط إلى تراجع ما كنا تعرضنا إليه من أنشطة اقتصادية متعددة تخصصت فيها قبائل الجزيرة العربية ومناطقها حين تعرضنا إلى التقسيم القبلي للعمل في دراستي **السعودية: السياسي والقبيلة**. هذا التراجع كان في تدهور أخلاقيات العمل[٦] وما رافقه من احتقار الأعمال اليدوية والزراعة والرعي وكل الأعمال التي لها علاقة بالحرف، فعزف السكان عن هذه الأعمال، واعتبروها وضيعة لا تليق بمقامهم، مقابل ميلهم إلى الأعمال التجارية، وخصوصاً الشراكة التجارية مع رأس المال الأجنبي أو وكالة الشركات العالمية الكبرى.

ـ افتقاد المنتوج الوطني (المحلي) الذي تقدمه تلك الأنشطة الاقتصادية القادرة على المنافسة أمام سيولة نقدية وبضائع رهيبة، وما شكّل مجتمعات «الوفرة» الخليجية التي تتكدس فيها البضائع من كل حدب وصوب وبأثمان «زهيدة» مقارنة مع حجم الدخل الفردي للسكان.

يقول فؤاد إسحق الخوري[٧] متحدثاً عن المجتمع البحريني ـ وهو ما ينطبق على كل المجتمعات الخليجية: «لقد أدّى ظهور إنتاج النفط إلى تدهور قطاعات الإنتاج التقليدية: صيد اللؤلؤ وتصنيعه، وزراعة النخيل، وتربية الماشية. وبما أن سوق العمل «المستقر» الذي ولّده إنتاج النفط جعل العمل في القطاعات الإنتاجية غير ممكن أو مربح أو جذاب فلا عجب إن تحولت زراعة النخيل والعمل فيها من «مورد للعيش» إلى مقياس «للرّفاهة»، وذلك ما لاحظنا انتشاره لدى الفئات السعودية الميسورة في السنوات الأخيرة

---

(٥) النقيب، **المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية (من منظور مختلف)**، ص ١٢١ ـ ١٢٢.

(٦) Hussein Mahdavi, «The Patterns and Problems of Economic Development in Rentier States: The Case of Iran,» in: M. Cook, ed., *Studies in Economic History of the Middle East: From the Rise of Islam to the Present Day* (London: Oxford University Press, 1970), pp. 428-467.

(٧) انظر: فؤاد إسحق الخوري، **القبيلة والدولة في البحرين: تطور نظام السلطة وممارستها**، سلسلة الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية (بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٣).

Twitter: @abdullah_1395

التي عادت لتربية الإبل، لا للاسترزاق منها، بل كوسيلة للتسلية وتمضية أوقات الفراغ وكسب بعض «الوجاهة» من الرّياء[٨].

١ ـ إحياء مفهوم الريع

«لقد أدت صدمة النفط في الستينيات، مع ما ارتبط بها من قيام ثروات مالية ضخمة غير مرتبطة بجهود أو قدرات فنية أو مهارات جديدة، إلى إحياء فكرة الريع والاقتصادات الريعية. ففي خلال فترة قصيرة من الزمن، تدفقت أموال هائلة بشكل لم يسبق له مثيل على عدد محدود من الدول النفطية، ودون جهود مقابلة على ظروف الإنتاج، مما أعاد للأذهان فكرة الدخول غير المكتسبة، [ومن ثم وصفها بالاقتصاديات الريعية]. وقد انعكست هذه الظاهرة في مجموعة من أنماط السلوك على مستوى الجماعات والأفراد، مما تطلب معالجة خاصة»[٩].

تعتمد الدولة السعودية، وخصوصاً في الخطط الإنمائية الأولى والتي تواصلت إلى الثمانينيات، على النفط باعتباره المصدر الأول من العائدات المكونة لميزانيتها، كما يتضح من الجدول رقم (٢ ـ ١) الذي يمثل الإيرادات النفطية وغير النفطية.

الجدول رقم (٢ ـ ١)

تطور عائدات النفط السعودي، سنوات مختارة (بملايين الريالات السعودية)

اتجاه الإيرادات الفعلية النفطية وغير النفطية

(مليون ريال)

العام	إجمالي الإيرادات	الإيرادات النفطية		الإيرادات غير النفطية	
		القيمة	النصيب المئوي	القيمة	النصيب المئوي
١٩٧٤م	١٠٠١٠٣	٩٤١٩٠	٩٤,١	٥٩١٣	٥,٩
١٩٧٥م	١٠٣٣٨٤	٩٣٤٨١	٩٠,٤	٩٩٠٣	٩,٦
١٩٧٦م	١٣٥٩٥٧	١٢١١٩١	٨٩,١	١٤٧٦٦	١٠,٩

يتبع

(٨) انظر: محمد بن صنيتان، **التقاعد** (الرياض: مؤسسة الممتاز للطباعة والتجليد، ١٩٩٣).

(٩) البيلاوي، «الدولة الريعية في الوطن العربي،» ص ٢٨١.

Twitter: @abdullah_1395

تابع

١٩٧٧م	١٣٠٦٥٩	١١٤٠٤٢	٨٧,٣	١٦٦١٧	١٢,٧
١٩٧٨م	١٣١٥٠٥	١١٥٠٧٨	٨٧,٥	١٦٤٢٧	١٢,٥
١٩٧٩م	٢١١١٩٦	١٨٩٢٩٥	٨٩,٦	٢١٩٠١	١٠,٤
١٩٨٠م	٣٤٨١٠٠	٣١٩٣٠٥	٩١,٧	٢٨٧٩٥	٨,٣
١٩٨١م	٣٦٨٠٠٦	٣٢٨٥٩٤	٨٩,٣	٣٩٤١٢	١٠,٧
١٩٨٢م	٢٤٦١٨٢	١٨٦٠٠٦	٧٥,٦	٦٠١٧٦	٢٤,٤
١٩٨٣م	٢٠٦٤١٩	١٤٥١٢٣	٧٠,٣	٦١٢٩٦	٢٩,٧
١٩٨٤م	١٧١٥٠٩	١٢١٣٤٨	٧٠,٨	٥٠١٦١	٢٩,٢
١٩٨٥م	١٣٣٥٦٥	٨٨٤٢٥	٦٦,٢	٤٥١٤٠	٣٣,٨
١٩٨٦م	٧٦٤٩٨	٤٢٤٦٤	٥٥,٥	٣٤٠٣٤	٤٤,٥
١٩٨٧م	١٠٣٨١١	٦٧٤٠٥	٦٤,٩	٣٦٤٠٦	٣٥,١
١٩٨٨م	٨٤٦٠٠	٤٨٤٠٠	٥٧,٢	٣٦٢٠٠	٤٢,٨
١٩٨٩م	١١٤٦٠٠	٧٥٩٠٠	٦٦,٢	٣٨٧٠٠	٣٣,٨
١٩٩٠م	١٥٤٧٢١	١١٨١٤٢	٧٦,٤	٣٦٥٧٩	٢٣,٦
١٩٩١م	١٦١٨٧٩	–		–	
١٩٩٢م	١٦٥٣٨٥	١٢٧٠٧٧	٧٦,٨	٣٨٣٠٨	٢٣,٢
١٩٩٣م	١٤١٤٤٥	١٠٥٩٧٦	٧٤,٩	٣٥٤٦٩	٢٥,١
١٩٩٤م	١٢٨٩٩١	٩٥٥٠٥	٧٤,٠	٣٣٤٨٦	٢٦,٠
١٩٩٥م	١٤٦٥٠٠	١٠٥٧٢٨	٧٢,٢	٤٠٧٧٢	٢٧,٨
١٩٩٦م	١٧٩٠٨٥	١٣٥٩٨٢	٧٥,٩	٤٣١٠٣	٢٤,١
١٩٩٧م	٢٠٥٥٠٠	١٥٩٩٨٥	٧٧,٩	٤٥٥١٥	٢٢,١
١٩٩٨م	١٤١٦٠٨	٧٩٩٩٨	٥٦,٥	٦١٦١٠	٤٣,٥

المصدر: مؤسسة النقد العربي السعودي، **التقرير السنوي الخامس والثلاثون** (١٩٩٩)، ص ١٠٧.

يستحوذ الدخل النفطي لوحده على ما يفوق أحياناً ٩٠ في المئة من جملة مداخيل المملكة من خلال التصدير أساساً، كما هو مبين في الجدول المذكور، وذلك ما يضفي على الريع صفة الخارجية. يقول النقيب: «ومن الأهمية بمكان إدراك الصفة الخارجية لهذا الريع الذي يمثله الدخل النفطي. ولم تكن هناك صلة بين إنتاج النفط كنشاط اقتصادي وقطاعات الاقتصاد الوطني، لا من حيث العمالة والتوظيف، ولا من حيث استهلاك النفط

Twitter: @abdullah_1395

محلياً، ولا من حيث تأثيره على الصناعة الوطنية، ولا من حيث إعادة توظيف الفائض من الدّخل محلياً حتى بداية الثمانينات عندما ظهرت بعض الصناعات «التحويلية»» العملاقة[١٠].

ثانياً: الدولة الريعية

تُنْعَت الدولة السعودية بالدولة الريعية لاعتماد سياستها الاقتصادية على النفط وريعه على وجه الخصوص، وخصوصاً أنها تظل في غياب أي أنشطة كبرى تساهم في مداخيل الميزانية رهينة ما يجلب لها من أموال تنفقها بدورها جزئياً على مشاريع التنمية المحلية. فهي التي تتسلم ـ وتكاد في هذا الغرض تكون لوحدها ـ المداخيل هذه وتعيد إنفاقها لوحدها أيضاً. ويقول خلدون النقيب معرّفاً الدولة الريعية: «ولهذا النوع من الدولة الريعية بعض الخصائص الاستثنائية نجملها في ما يلي:

ـ إن الاقتصاد الوطني لهذا النوع من الدولة لا يعتمد مباشرة على النفط، بل يعتمد عليه بطريق غير مباشر، وهو طريق مصروفات الدولة أو الإنفاق العام الذي يتحول إلى قناة لضخ دخل النفط. وهذا يبرز الدور المركزي الذي تلعبه الدولة (من حيث كونها المستلمة لدخل النفط) في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للسكان، ولكن بشكل مغاير للدول الأخرى التي تعتمد على الضرائب والقطاعات الإنتاجية الأخرى والخدمية في الاقتصاد الوطني. والدخل من النفط يجعل الدولة الريعية مستقلة نسبياً عن مصادر القوة والسلطة المتعارف عليها في الدول الأخرى، ولذلك فإنها تتمتع بمرونة في العمل وحرية في المناورة تفوق إلى حد كبير الأحوال الاعتيادية التي تحصل فيها الدولة على دخلها من الضرائب أو العملية الإنتاجية. وليس معنى ذلك بالطبع أن الدولة الريعية متحررة كلياً من القيود»[١١].

تغدو الدولة الريعية كما هي ريعية لا لكونها تنتج النفط وتعتمد عليه في اقتصادها، بل لكونها تدير عملية بيعه وإنفاقه لوحدها. إنها تتولى أمر إعادة توزيعه على النحو الذي تشاء. لقد أدى اعتماد الدولة على النفط كوسيلة تكاد

---

(١٠) النقيب، **المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية (من منظور مختلف)**، ص ١٢٢ ـ ١٢٣.
(١١) المصدر نفسه، ص ١٢٣.

Twitter: @abdullah_1395

تكون الوحيدة في دعم موارد الميزانية، ثم احتكار عائداته إلى تراكم رأس مال الدولة، فغدت في النهاية العامل الأهم في كامل الحياة الاقتصادية والاجتماعية. ويتجسد هذا البعد في إدارة الدولة للريع، وإعادة توزيعه وتدويره.

وقد يتوسع حازم الببلاوي في تعريف الدولة الريعية والاقتصاد الريعي، وهي الدولة التي يكون الريع فيها خارجياً، واستفراد فئة قليلة به كالطبقة الحاكمة، لذلك عندما نصف اقتصاداً ما بأنه اقتصاد ريعي، فإننا نشير عادة إلى الأوضاع التي تغلب عليها عناصر مفهوم الاقتصاد الريعي. «ويمكن أن ننظر إلى الدولة الريعية باعتبارها حالة خاصة من الاقتصاد الريعي، وهي الحالة التي يؤول فيها الريع الخارجي أو نسبة عالية منه إلى فئة صغيرة أو محدودة تعيد توزيع أو استخدام هذه الثروة على الغالبية من السكان. . . وفي حالة الدولة الريعية، فإننا نجد أن فئة محدودة من المجتمع تحصل بشكل مباشر على عناصر الثروة (الريع الخارجي)، في حين يقتصر دور الغالبية العظمى من السكان على استخدامات هذه الثروة، وبحيث إن ما ينشأ عن ذلك من نشاطات اقتصادية تابعة يعتمد اعتماداً كبيراً على المصدر الأساسي للثروة. . . والربط بين إصلاح الدولة الريعية وبين دور الأقلية في توليد الريع الخارجي، يرجع إلى أن هذا الوضع المتميز لدور هذه القلة يؤدي في معظم الأحيان إلى أن تصبح الدولة أو الحكومة هي المستفيد المباشر من هذا الريع الخارجي. فتركيز هذه القوة الاقتصادية في يد عدد محدود لا يلبث أن يؤدي إلى تركيز القوة السياسية فيها في الوقت نفسه. فلا يخفى أن السيطرة الاقتصادية التي تتمتع بها هذه الصفوة تمكنها عادة من الاستحواذ على السلطة السياسية. . .»[١٢].

فالدولة لا تنعت بالريعية إلا إذا توفر شرط هام طبعاً إلى جانب الشروط الأخرى؛ ألا وهو استحواذ الأقلية على السلطة السياسية، وذلك ما يعتبر مؤشراً على غياب الحريات والديمقراطية، أو ما يسميه هو بضعف المشاركة السياسية من قبل المواطنين.

ولقد تمكنت المملكة العربية السعودية تدريجياً من احتكار عائدات

---

(١٢) الببلاوي، «الدولة الريعية في الوطن العربي،» ص ٢٨٣.

Twitter: @abdullah_1395

النفط، وخصوصاً بعد الخطوات الهامة والحاسمة التي قطعتها في تملك هذا القطاع عبر تملكها التدريجي لشركة آرامكو سنة ١٩٧٦م، وما سبقه من فرض ضرائب على الشركات بلغت خلال الستينيات حدود ٥٠ في المئة أو ما سمي «بالمناصفة». ففي عام ١٩٥٠م أصدرت الحكومة السعودية مرسوماً ملكياً يفرض ضريبة دخل تبلغ الحدود التي أشرنا إليها سابقاً على كافة الشركات التي تعمل في إنتاج النفط أو الهايدروكربونية. وقد تعارضت هذه الاتفاقية مع مصالح الشركات، فأدى ذلك إلى صعوبة المفاوضات وتلكؤ الشركات النفطية العالمية. وتعود أهمية هذا الاتفاق إلى:

ـ اعتراف الشركات الأجنبية بشرعية فرض الضرائب عليها من قبل الحكومات المنتجة للنفط ومالكي الثروة النفطية.

ـ تطبيق مبدأ المناصفة في الشرق الأوسط في مجال الإنتاج النفطي.

ـ إن مبدأ المناصفة في الأرباح قد أرسى قواعد جديدة من الناحية السياسية.

ـ صيانة حق السيادة الوطنية على ثرواتها الطبيعية بما فيه النفط، ثم سرى هذا المبدأ، فأخذت به الكويت عام ١٩٥٧م، والعراق عام ١٩٥٢م، وقطر عام ١٩٥٣م، والبحرين عام ١٩٥٥م[١٣].

ولتحقق تلك النتائج دخلت المملكة العربية السعودية مع الشركة في صراع طويل من المفاوضات والأخذ والعطاء. ودبت أسباب الخلاف بين الشركة والسعودية ممثلة بوزير النفط آنذاك عبد الله الطريقي، حيث كانت آرامكو تضخ النفط من الحقول السعودية السهلة والرخيصة من دون أن يكون لها سياسة طويلة الأمد لموازنة استنفاد الحقول. وقد عملت الشركة كذلك على إحراق الغاز الطبيعي المصاحب لعمليات استخراج النفط، ما يكون سبباً في إهداره، وهو الثروة الطبيعية التي لا تقل أهمية عن النفط المستخرج.

وكذلك كانت آرامكو تقتسم الأرباح مع الحكومة السعودية. وكان تقسيم الأرباح يتم بعد احتساب المصاريف، وقد بالغت آرامكو في استغلال

---

(١٣) خضير عباس المهر، **اقتصاديات نفط الشرق الأوسط** (الرياض: دار العلوم والنشر، ١٩٨٤)، ص ١٩٣.

Twitter: @abdullah_1395

الحكومة السعودية، فخصت الشركات الأم بتخفيض خاص وصل إلى ١٨ في المئة، وما زاد الطين بلة أن السعودية اكتشفت من واقع مراقبة الحسابات أن آرامكو تخفض حصة السعودية من أرباح السوق الحقيقة من المناصفة (٥٠ إلى ٥٠) إلى ما نسبته (٦٨ إلى ٣٢) لصالح آرامكو، ما أشعل غضب الوزير السعودي (الطريقي) الذي أقام الدنيا ولم يقعدها لاسترداد ما تتمتع به آرامكو وشركاتها الأم من أرباح مجزية على حساب الشريك السعودي، كما بدأ المناداة بمشاركة الحكومة السعودية في كل مرحلة من مراحل إنتاج النفط وتسويقه، ورفع الشعار القائل «من البئر إلى السيارة».

حتى هذه الساعة لم تتحقق الأهداف الكاملة للشعار على الرغم مما تحقق من إيجابيات تحسب للمفاوض الوطني. ولكن آرامكو استطاعت أن تتخلص من الوزير الطريقي حيث أخرجته من الوزارة، ولكنها لم تستطع أن تستمر في استغلالها للثروة الوطنية، فسهام الطريقي أصابتها في المقتل.

وقد تمت الاتفاقية المبرمة مع الشركات الأمريكية في ظروف لم تكن السعودية في مركز القوة لأسباب عدة:

١ ـ لم يكن للنفط السحر والجاذبية بمثل ما له اليوم.

٢ ـ النفط وغيره من الثروات الطبيعية في الجزيرة العربية منذ آلاف السنين، ولم يعرف العرب الوصول إليه. ولم يكن النفط موجوداً في المنطقة العربية سوى في العراق وإيران. ولم يكن له الأهمية ذاتها في نفوس سكان المنطقة.

٣ ـ المملكة حديثة عهد بالتأسيس، والاستعمار محيط بها من كل جانب. ويعتبر إبرام الاتفاقية مع أمريكا ليس صفقة اقتصادية فحسب، بل هي صفقة سيادة، حيث كان المرشح للاتفاقية بريطانيا المستعمرة لكل دول الجوار للمملكة.

وهذا ما جعل الملك عبد العزيز ينأى باقتصاد بلاده بعيداً عن البريطانيين حتى لا يكون ذريعة للتدخل. وقد تكون الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة الأجنبية التي قد يقتصر امتداد ذراعها إلى الجانب الاقتصادي فقط، وذلك استنتاج الملك عبد العزيز للمرحلة الراهنة وقتها.

وقد استثمرت المملكة مواقف أمريكا الدائمة اقتصادياً وسياسياً في ما بعد.

٤ ـ كانت الحكومة السعودية بحاجة إلى المال مهما كان متواضعاً، فالمملكة بعد تحديد حدود الكيان بحاجة إلى التنمية، أضف إلى ذلك جهلها بدنيا النفط، وجهلها كذلك بحاجة الدول الصناعية إليه. وكذلك كانت المؤشرات غير مشجعة لاكتشاف النفط واستغلاله بشكل تجاري، بدليل أن السعودية عندما أبرمت الاتفاقية مع شركة الزيت العربية المحدودة (اليابانية) فاوضت الشركة من موقع الخبير المتمرس، واستطاعت تضمين الاتفاقية شروط الإشراف المباشر على الإنتاج وتحديد الأسعار والشراكة ومبدأ مناصفة الأرباح. وأهم من ذلك استطاعت السعودية كسر احتكار الشركة الأمريكية للنفط من خلال نقل الامتياز إلى شركة في أقصى آسيا (اليابان)، ومن هنا بدأت أرامكو تحسب للسعودية ألف حساب.

وبدأت المملكة العربية السعودية تدخل صناعة النفط بخطى واثقة، فقد انتهجت في سياستها النفطية مع شركة آرامكو محاور عدة بدأت تحققها بالتدريج (خذ وطالب). فقد بدأت التفاوض مع الشركة للحصول على ريع أعلى من الدخل النفطي من خلال إثارة قضية محاسبة شركة آرامكو على أساس السعر المعلن للنفط، كما أثارت مع الشركة مسألة تنفيق الريع بالإضافة إلى تحديد الإنتاج حيث يتناسب مع الطلب في الأسواق. وبدأت الحكومة السعودية تتدخل في كل امتياز الشركة واستغلاله، حيث بدأت تغير في أوليات الشركة للمصالح السعودية وليس لمصالحها، فقدمت للشركة مطالب كان من ضمنها مشاركة الحكومة في رأس مال الشركة. وأجبرت الشركة على انفصالها عن السيطرة المحكمة التي وضعتها فيها شركاتها الأم المالكة لها في حينه لكي تدفع بالشركة إلى ولوج الصناعات اللاحقة للإنتاج على حسابها وبمشاركة السعودية عوضاً عن أن يكون حكراً على الشركات الراعية والمالكة.

وألزمت الحكومة السعودية الشركة بتوظيف وتدريب الشباب السعودي، وابتعاثهم للخارج، وتمكينهم من إدارة الصناعة النفطية الوطنية، بل امتدت الرغبة إلى العرب للعمل في حقول الزيت السعودية كرافد للشباب السعودي، وقد استوعبت الصناعة النفطية السعودية الكثير من الشبان العرب جلهم من الفلسطينيين دعماً للقضية الفلسطينية. ولا أحد يجحد أيضاً العاطفة القومية

للمملكة في عهد طفرة النفط من خلال استقدامها لكثير من العاملين العرب، ليس لحاجة لهم أكثر من الرغبة في إفادتهم، فالعمالة الآسيوية أرخص من حيث الأجور، ولكن الاستقدام تم بقرار سياسي ورغبة اجتماعية لمشاركة الأخوان العرب ثمار التنمية.

والخطة التي اتخذتها الحكومة السعودية لتوطين آرامكو أنجح خطة عرفتها المملكة على طول مرحلة التوطين. وللأسف لم تعمم هذه التجربة الناجحة على بقية برامج التوطين، ما جعل هذه الخطط تتعثر في معظمها باستثناء توطين الشركات الكبيرة. وكان على برامج التوطين اختيار الشركات القادرة على استيعاب الشباب الوطني، والقادرة على تأهيلهم ومن ثم تدريبهم، وتأسيس السلم الوظيفي المغري لطموح الشباب الوطني بدلاً من توطين دكاكين الخضار وصوالين الحلاقة.

أدّت سياسة الاعتماد على النفط وريعه إلى مراكمة الدولة لرأس مالٍ كبير تحتكره وتعيد توزيعه عبر الإنفاق العام الذي تميز بسهولة مالية كبرى كان من شأنها أن تدفع بقية القطاعات الإنتاجية التقليدية (الرعي، الزراعة..) إلى الانكماش والتدهور أحياناً، ما حدا الدولة السعودية على أن تغدو ريعية كما بينت آنفاً، على الرغم من التحفظات التي نبديها، ابتداءً من أواخر الثمانينيات التي ستبدأ فيها حكومة المملكة اعتماداً أكبر من أي وقت مضى على بقية القطاعات: الزراعة (خطة الاكتفاء الذاتي الزراعي على الرغم من تحفظنا على هذه الخطة) والصناعات التحويلية والاستثمارات الداخلية والخارجية في ظل خصخصة متزايدة للقطاعات.

ففي العقود الثلاثة من النصف الثاني للقرن العشرين (الماضي) كانت الدولة السعودية نموذجاً للدولة الريعية.

للأسباب المذكورة كلها، وخصوصاً اعتمادها على النفط باعتباره ريعاً خارجياً تتولى وحدها إدارة توزيعه، فقد ورد في **التقرير السنوي الخامس والثلاثين**، الصادر عن مؤسسة النقد العربي السعودي أنه «بلغت صادرات المملكة من النفط الخام عام ١٩٩٨م حوالى ٢٣٣٢,٥ مليون برميل بارتفاع نسبة ٣,٣ في المئة مقارنة بنحو ٢٢٥٧,٣ مليون برميل عام ١٩٩٧م.

أما صادرات المملكة من المنتجات المكررة فقد بلغت لعام ١٩٩٨م

Twitter: @abdullah_1395

نحو ٤٩٩,٧ مليون برميل بانخفاض نسبته ١,٧ في المئة مقارنة بالعام السابق والبالغة ٥٠٨,٤ مليون برميل»[١٤].

يرى محمود عبد الفضيل أنه «ينطبق هذا النموذج على المجتمعات التقليدية (مثل بلدان الخليج) التي تعتمد اعتماداً شبه مطلق على «الريع النفطي»، وحيث تكون الغلبة لعلاقات التوزيع (أي أساليب تدوير الريع النفطي داخل المجتمع)، وذلك نظراً إلى الدور المحدود الذي تؤديه علاقات الإنتاج نتيجة ضعف ومحدودية قاعدة الإنتاج المادي. وفي إطار هذا النموذج الفريد، تتعايش علاقات سيطرة «غير اقتصادية» يغلب عليها الطابع العشائري والقبلي هذا. جنباً إلى جنب مع علاقات هيمنة اقتصادية ومالية تمارس من قبل ما تسمى «فئة الأوليغاركية المالية والتجارية» التي تتمتع بأوضاع احتكارية متميزة في إطار البنية الاجتماعية والاقتصادية القائمة في المجتمع»[١٥].

إن ريعية الدولة تشمل كافة مجالات الحياة الاقتصادية والاجتماعية، بل والسياسية أيضاً، فتراكم رأس المال لدى الدولة يجعلها المنفق العام على المجتمع من خلال ضخها لسيولة نقدية هائلة لا توازيها إلا السيولة الصناعية المستوردة التي تردم السوق الوطنية. يقول خلدون النقيب: «وإذا توقفنا قليلاً للتدقيق في آليات الإنفاق العام والدور الاستثنائي الذي يلعبه هذا الإنفاق في الدولة الريعية، وجدنا أن هناك بصورة عامة ثلاثة أبواب للإنفاق العام في الميزانية العامة للدولة، وهي: الإنفاق الرأسمالي، والتعويضات العامة، والاستهلاك العام. أما الإنفاق الرأسمالي فيتضمن كل أوجه الإنفاق على العمل والمواد اللازمة لإنتاج السلع والخدمات التي تباع للسكان، ومثال ذلك مشاريع الأشغال العامة. ومعظم هذه السلع والخدمات تقدم مجاناً أو بأسعار رمزية في الدولة الريعية ـ النفطية، أما الاستثناءات كشركات الطيران الحكومية أو الكهرباء والماء والبريد والهاتف... إلخ، فهي تعتمد على التمويل الذاتي أو على دعم الدولة. ولا بد في الحالة الأخيرة من التمييز بين الإنفاق الرأسمالي والاستهلاك العام. أما الخدمات التي لا تموّل نفسها ذاتياً كالصحة والتربية والخدمات البلدية، فلا بد من اعتبارها ضمن الاستهلاك العام، وهو

---

(١٤) مؤسسة النقد العربي السعودي، **التقرير السنوي الخامس والثلاثون** (١٩٩٩)، ص ١٤٨.

(١٥) عبد الفضيل، **التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية في الوطن العربي: دراسة تحليلية لأهم التطورات والإتجاهات خلال الفترة ١٩٤٥ ـ ١٩٨٥**، ص ٢١٠.

Twitter: @abdullah_1395

الباب الذي مولت من خلاله برامج ما يسمى بدولة الرفاهية الضخمة.

أما الباب الذي يكتسب أهمية فائقة... فهو الباب الثاني: التعويضات العامة. وفي العادة، فإن التعويضات العامة هي مجموعة من المبالغ الكبيرة التي تدفع من الميزانية العامة على شكل: فوائد على الدين العام، والضمان الاجتماعي، والدعم التمويني، والتعويضات المختلفة. وقد استخدم هذا الباب في ظل الدولة الريعية لخلق أوليغاركية مالية عقارية طائلة الثراء، وتحويل قطاع الاستيراد والتصدير إلى أكثر قطاعات الاقتصاد دينامية. وكل ذلك من ميزانية الدولة.

إن ضخ هذه المبالغ الكبيرة من رأس المال وتدويره في الاقتصاد الوطني أعطى الانطباع بالرفاه والازدهار الاقتصادي من دون أن يحدث أي توسيع في القاعدة الإنتاجية للاقتصاد عن طريق التصنيع والتنويع في مصادر الدخل. وهذه هي الصفة العامة لاقتصاد الدول الريعية»، وفي مقدمتها المملكة العربية السعودية[١٦].

إن الدولة التي تملك فوائض كبيرة من رأس المال يقودها ذلك في حالة الاقتصاديات الريعية إلى مزيد من التدخل في الاقتصاد. ويعني بروز مركزية الدولة في هذه البيئة بالضرورة بروز دور الأسر والنخب البيروقراطية الذين يحوزون المساحات الكبيرة ويوجهون مشاريع التنمية إليها لغرض ارتفاع أثمانها أضعافاً، حتى وإن أدى ذلك إلى إفساد اقتصاد الوطن، كما ذكرنا سابقاً. ولا يستفيد منها إلاهم والمنظمين للسمسرة في الداخل والخارج، ما يجعل رؤية الفساد كالشمس لا يمكن حجبها بكف اليد. وهذا ما أحدث الاكتئاب والإحباط، بل القهر لدى الفئات المحرومة أو ذوي السلوك النظيف. وذلك عندما يرون غيرهم من الأصوليين والنفعيين وذوي السمعة السيئة فوق «الريح»، أما هم فبالكاد يدبرون الحد الأدنى من المعيشة والرسوم الدراسية والعلاجية ورسوم أخرى كثيرة، فيما غيرهم مصاب بالتخمة من الخدمات المجانية والأرصدة التي قد لا يحتاجها سوى معرفته بقيمتها دفترياً، والتي لو استثمرها تجارياً ما احتاج للدولة، ولكفت زكاتها جميع فقراء المملكة وزيادة.

ولذلك ظهرت بعض الدوائر السياسية والبيروقراطية التي تملك مقدرات

---

(١٦) النقيب، **المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية (من منظور مختلف)**، ص ١٢٣ ـ ١٢٥.

Twitter: @abdullah_1395

الوطن وتوجها لمصلحتها ولحسابها الخاص وكأنها ملك شخصي. وهذا يعني تكييف أجهزة الدولة الحديثة الرأسمالية لمتطلبات العائلة والإقليم. وتؤدي أساليب الإنفاق العام تحت هذه الظروف عادة إلى نتائج عكسية تعوق عملية تقدم وتطور النظام الاقتصادي والاجتماعي، وذلك لأسباب عدة منها:

ـ إن الرخاء أو الازدهار الاقتصادي الظاهر ليس مؤشراً على كفاءة أداء الاقتصاد الوطني أو مستوى تطور المجتمع أو درجة تصنيعه، بل إن الرخاء السطحي يؤدي إلى إعاقة التنمية بتخدير هذه الفئات ودفعها إلى الاكتفاء باقتسام المنافع الآنية المتأتية من الإنفاق الحكومي المتولد من النفط، «يضاف إلى ذلك أن عملات الدولة الريعية تقدر بأكثر من قيمتها الحقيقة، كما أن أجور السوق لا تعكس الكلفة الاجتماعية للإنتاج. وهذا يدفع إلى تشجيع الاستيراد بدلاً من تبني سياسة الإحلال بسبب الكلفة العالية للأجور في قطاع النفط أولاً، [ما] يؤدي إلى ارتفاع الأجور في القطاعات الاقتصادية الأخرى. ويؤدي ذلك ـ بالضرورة ـ إلى تخريب القطاعات الاقتصادية التقليدية التي لا تستطيع أن تجاري قطاع النفط أو قطاع البناء، فيحدث الخلل في تركيبة القوى العاملة، ويفضي إلى توسيع الاستخدام في القطاع الحكومي، [ما] يخلق بطالة مقنعة تتمثل في الوظيفة الحكومية»[١٧].

لقد ساهم النفط في إحداث سيولة عارمة لم تستخدم في القطاعات الإنتاجية في كافة الأنشطة كهدف استراتيجي، بل استخدمت في قنوات أدت إلى الشراهة في الاستهلاك وتورم الأجهزة الحكومية، حيث توسع الأجهزة الحكومية والخدمات التي أفرزت نشوء الطبقات في المجتمع، والتوسع في القروض الخارجية والهبات، ما أقحم الدولة السعودية في القضايا الخارجية على حساب التنمية الوطنية.

كما أن النفط لم يساهم في خلق بيئة صناعية في المجتمع السعودي، فصناعة النفط لم تكسب عمالها من المواطنين مهارات تفيدهم في مجالات خارج مجال النفط، حيث إن تقنيات النفط محصورة غالباً في استخراج النفط. وعلى الرغم من طول مدة خدمة آرامكو فإن آرامكو السعودية لم تمتد خبرتها في امتيازات خارج السعودية، كشركات خليجية مثلاً.

---

(١٧) النقيب، المصدر نفسه، ص ١٢٦.

Twitter: @abdullah_1395

كما أن وجود النفط في الجهة الشرقية من المملكة وفي مناطق غير آهلة قليلة الكثافة السكانية حجم من تأثير النفط في المجتمع السعودي كما يجب.

كما أن وجود الزيت حصراً في مناطق حدودية يجعلها مثل طرف «البسكوتة» سهلة الكسر، ما يجعل الخوف قائماً دائماً عند أي مشكلة إقليمية أو عالمية أو حتى داخلية، الأمر الذي يرفع الكلفة الأمنية دائماً، ويرفع قيمة فاتورة الأتاوة المستحلبة دائماً من الجار القريب أو الأجنبي البعيد. هذا الخوف لم يدفع بالمخطط السعودي ومنذ عشرات السنين من استخراج النفط بكميات تجارية إلى تنويع بدائل النفط، في ما عدا بعض مشتقات النفط التي قد تكون كلفتها كبيرة وتعتمد على النفط، ولم يتنبه لها المخطط السعودي إلا حديثاً، كما أنها لا تزال في طور النمو. وعلى الرغم من ذلك فهي تنويع يعتمد عليه في مصادر الدخل الوطني.

إن وقوفنا على هذا الشاهد الطويل أملته بعض الاعتبارات التي تخص قدرة هذا الشاهد على وصف الحالة الدقيقة لاقتصاديات الدولة الريعية، ومن ضمنها الاقتصاد السعودي، وربط الجانب الاقتصادي بالسياسي والاجتماعي. فالريع لا يدمر مكونات الاقتصاد الداخلي من حرف وأنشطة زراعية.. إلخ فحسب، بل يمتد إلى مجالات سياسية أخرى واجتماعية تتعلق بتدهور أخلاقيات العمل وانتشار الاتكالية وتورم الجهاز الإداري البيروقراطي، ما أفرز ظواهر البطالة والفقر والتطرف وانتشار المخدرات والرشوة والأمراض وسلوكيات أخرى كثيرة لم يكن يألفها المجتمع السعودي إلى وقت قريب.

غير أن ما يمكن توضيحه مؤاخذة على ما أدلى به النقيب من آراء حول الريع على الرغم من أهميتها تكمن في:

المسألة **الأولى**، هي ما يتعلق بالتغير الذي حدث في العقد الأخير، وأساساً منذ حرب الخليج في أول عام ١٩٩١م، إذ انكمشت الموارد المالية المتأتية من النفط، الأمر الذي قلص ما عرف بالإنفاق العام وما رافقه من ارتفاع ملحوظ في الأسعار. ما حدا الحكومة على معالجة الوضع بجدية في السنتين الأخيرتين من أجل تخفيف انخفاض مستوى المعيشة (انظر الجدول رقم (٢ ـ ٢) حول معدلات النمو السنوية لمؤشرات مختارة) وسحب الدولة التدريجي للتعويضات.. إلخ، وظهور البطالة التي لم يألفها المجتمع السعودي من قبل لانحسار التوظيف

الحكومي، ما دفع الشبان إلى الإقبال التدريجي على مهن كانت تصنف من قبل «غير مناسبة»، إن لم نقل غير لائقة.

المسألة **الثانية**، هي تصوير المتغير النفطي وريعه على درجة الخصوص سبباً في التسلط السياسي. والمتأمل في الأقطار العربية غير النفطية يجد أن للتسلط السياسي فيها أسباباً غير النفط. وهذا ربط يمثل لدى النخب العربية والغربية على حد السواء، إضافة إلى التشويه الإعلامي المتعمد التي تعمد إليه الدوائر الغربية والصهيونية المروجة لصورة العربي على أنه غليظ متوحش له آبار تجري من النفط. إنها صورة غير عقلانية ولا منصفة يتبناها للأسف العديد من مفردات القومية المثقفة من دون تمحّص.

أما المسألة **الثالثة** والأخيرة، فهي تدهور القطاعات الأخرى للاقتصاد سواء منها التقليدية كالرعي والزراعة.. إلخ، أم ما يفترض أن يكون حديثاً كالنشاط الخدماتي أو التحويلي، إذ تدل آخر الدراسات إلى نمو مشاركة هذه القطاعات في مداخيل الدولة، وتحديداً في الناتج المحلي الإجمالي.

وفي اعتقادي أن أزمة الدولة الريعية في الخليج العربي لا يمكن ردها إلى «المتغير النفطي» وحده، بل لا بد من النظر أيضاً في الولادة العسيرة للدولة ذاتها في علاقة وثيقة بالتجزئة الاستعمارية والأصول العائلية والمناطقية، إضافة إلى الظروف الإقليمية والدولية المحيطة ومخططات القوى الأجنبية، وهي محددات حكمت أحياناً ـ أكثر من النفط ـ صورة الدولة وأداءها السياسي.

الجدول رقم (٢ ـ ٢)

معدلات النمو السنوية لمؤشرات مختارة ١٩٩٦ ـ ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨

(نسبة مئوية)

معامل انكماش الناتج المحلي غير النفطي (١٩٨٨=١٠٠)	٢,٩	٢,٣	٠,١
الرقم القياسي لتكلفة المعيشة (١٩٨٨=١٠٠)	٠,٩	ـ ٠,٤	ـ ٠,٢
العرض المحلي (بالأسعار الثابتة)	١,٦	٤,٤	٥,٩
الطلب المحلي (بالأسعار الجارية)	٨,٥	٥,٢	ـ ١,٦
عرض النقود (ن٣)	٧,٧	٥,٢	٣,٧

المصدر: مؤسسة النقد العربي السعودي، **التقرير السنوي الخامس والثلاثون** (١٩٩٩)، ص ١١١.

Twitter: @abdullah_1395

ولعلي انفرد بتحليل خاص لإحدى هذه الظواهر؛ وهي ظاهرة التطرف. وبعيداً عن أسبابه السياسية الخارجية ومرجعياتها العقائدية وطرق علاجها، فقد يقتصر التحليل على عاملي النفط والسلوك البيروقراطي الفئوي والعائلي والمناطقي، نتيجة شراهة البيروقراطية في احتكار الريع النفطي بوجوه متعددة، وتهميش قطاع كبير من المجتمع في كافة مناطق الوطن. وهو تهميش امتد إلى قفل منافذ الحراك الاجتماعي، وتوسيع البطالة، وتغلغل الفقر في كافة نسيج هذه الفئات المهمشة، وتفاقم الديون من قبل البنوك التي وظفت ما يسمى باللجان الشرعية لمزيد من تملك الرقاب قبل تملك الجيوب.

يدفع هولاء الشبان قلة ما في اليد لحاجتهم للاستقرار العاطفي والسكن والتنقل ودفع الفواتير والرسوم. وقد أصبحت الديون البديل الجاهز لأحلام الشبان بدلاً من الدولة والقطاع الخاص والمؤسسات الاجتماعية، كما أصبحت البديل للوظيفة المقاهي والاستراحات وأركان الشوارع وعتبات المنازل. وهذا ما جعل الشبان الصيد الثمين لآفة الموت، وتوزعهم بين المخدرات وتنظيمات الخلايا السرية، واستغلال الإنسان حتى أصبح ثمنه لا يساوي طلقة واحدة. فبدلاً من أن يشتري المرجعية طلقة أصبح يفخخ الشاب من هذه الفئات بدلاً من الطلقة. المرجعيات السرية وغير السرية يوهمون المهمشين من الشبان بالفردوس والحورية اللذين حرم منهما في الدنيا على أرض الوطن.

أما أولاد هذه المرجعيات الذين يدرسون علوم الحياة في الجامعات الغربية ـ التي يكفرونها ـ فلم يحرموا منهما. وإذا فقد أحدهم ابنه سويعات وخاف أنه في طريقه إلى الحوريات أقام الدولة ولم يقعدها للبحث عنه، في الوقت الذي يرى فيه هولاء المغرر بهم الأجنبي الكافر وغير الكافر والآفات البشرية من أدعياء الوطنية ينغمسون حتى آذانهم في فردوس الريع النفطي. ويرى من يركب السيارة التي تساوي قيمتها قيمة خمسة عشر منزلاً من مثل منزله إذا كان له منزل. ومن يستخدم اتصال الساتلايت المحملة فاتورته على فواتير المجتمع. ويرى في واجهات المحلات التجارية «جزماً» قيمتها ستة آلاف ريال أو تزيد..

وفيما الخادمة الآسيوية تحصل على مرتب شهري مقداره ٨٠٠ ريال مع السكن المؤثث والعلاج والتذكرة، يخرج هو من المنزل المتهالك ونفسيته أكثر تهالكاً للبحث عن عمل، ويعود أدراجه إلى المنزل، ولم يحصل على

ريال واحد. وقد ينظر إليه من قبل أسرته على أنه فاشل أو صاحب ممارسات خاطئة. وإذا ذهب يبحث عن عمل أعياه العثور، بل رأى في عيون من يستجديهم لتأمين العمل له لساناً ناطقاً يطعنه في أعز شيء يملكه، وهو أصله أو مذهبه. وإذا رأى في من يستجديهم أحد أبناء وسطه الاجتماعي يجده أحد المطحونين معنوياً في البيروقراطية، مهما كان موقعه في السلم الوظيفي أو السلك (الخاكي) لأن السلطة أو صلاحيات الوظيفة قد تكون لمن ينتمي لبيئة أخرى حتى لو كان أقل منه وظيفياً.

وعندما يدنو من ابن بيئته طالباً الشفاعة للبحث له عن عمل يقرأ في عينيه ألف استفهام، لأن كبرياءه يمنعه من أن يثقب جدار الصمت ويفتح له ملفات وملفات مخزونة في خلايا ذاكرته طيلة حياته الوظيفية. ولكي لا تبهت الصورة الزاهية لهذا الموظف العاجز يلجأ إلى الكذب و«مواعيد عرقوب» التي لم تكن من طبعه وسجاياه في يوم من الأيام.

وعندما يتأكد للباحث عن الوظيفة هباء «مواعيد عرقوب» فما عليه حينئذ إلا أن ينخرط في سرايا التطرف الموسوم بـ «الجهاد المقدس» من شيخه الذي لا يراه إلا في الانترنت، أو يسمع عنه في الكهوف الشاهقة. وعندما يقارن بين مواعيد يئس منها، ومواعيد يحتمل الحصول عليها ـ لأنه لن يتأكد منها إلا بعد التفجير ـ يجد في الدنيا ـ قبل التفجير ـ السكن ومصاريف السفر وتوزيع الألقاب والنياشين وبطاقة العضوية. وهذه في حد ذاتها مكاسب لم يؤمن الوطن له ولو بعضاً منها.

إن مؤسسات المجتمع تتحمل مسؤولية جزء من هذه الظاهرة، ويتحمل السياسي والمؤسسات الأمنية مسؤولية الجزء الأكبر من أي فاعل آخر. وسيبقى الوطن رهينتها حتى وإن اختفت إلى حين، ما لم تكن هناك استراتيجية للعلاج على قدر حجم هذه الظاهرة وحجم تأثيرها.

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

الفصل الثالث

المحدد الثقافي (التعليم)

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

يعد التعليم أحد العوامل الحاسمة التي ساهمت إلى حد بعيد في تغيير المجتمع السعودي، وإعادة صياغة ثقافته وهياكله على نحو مختلف من خلال إشاعة معارف وقيم، وتأهيل مخرجاته إلى وظائف ومناصب. ولهذا عده الباحث عاملاً مهماً في حراك المجتمع السعودي.

وقد عرف المجتمع السعودي أنماطاً من التعليم قبل التعليم الرسمي، من خلال ما قام به الحرمان الشريفان أساساً من تعليم علوم الدين التي كانت تحسب من علوم العصر ومعارفه آنذاك، فتخرج منهما قضاة وأئمة مساجد وخطباء ومحترفون في شتى الفنون والمعارف وأدباء. ولم تكتف المدارس المتفرعة عنهما بتدريس تلك العلوم وحدها، بل دَرَّست التاريخ والجغرافيا والحساب ومواد علمية أخرى أيضاً.

وكان ذلك شأن المساجد الأخرى في كافة مناطق الجزيرة العربية، يحصل دارسوها على إجازات من شيوخهم. وذلك ما كان سائداً في البلدان الإسلامية كافة، كما قام بعض الأفراد رجالاً ونساءً بفتح مدارس خاصة في منازلهم. وتسمى في درجاتها الدنيا «الكتاتيب»، ما يبرهن أن الشأن التعليمي كان إلى ذلك الحين من مشمولات الجهد التعاوني والخيري الاجتماعي.

وقد امتد هذا الجهد التعاوني الأهلي حتى إلى التعليم العالي وحتى في ما بعد مداخيل النفط، فجامعة الملك سعود في الرياض وجامعة الملك عبد العزيز في جدة بدأتا بجهود الأهالي على شكل تبرعات.

أما الاستثناء الدال فهو المدارس التي كانت قائمة في عهد الأشراف السابق لقيام الدولة السعودية الحديثة. والمثال على ذلك مدرسة الفلاح والنظامية وغيرهما. وعلى الرغم من ذلك فإن تمويلها كان يتم إلى حد كبير من قبل أفراد متطوعين على سبيل الجهد الخيري لا غير[1].

---

(١) انظر على سبيل المثال: عبد المحسن الداود، **التعليم العالي في المملكة** (الرياض: دار أركان =

Twitter: @abdullah_1395

أولاً: التعليم الرسمي

بدأ التعليم الرسمي في المملكة كخطوة أولى بفرعيه العام والعالي بتأسيس مديرية المعارف في عام ١٣٤٤هـ/ الموافق ١٩٢٤م. وفي عام ١٣٤٥هـ/ ١٩٢٥م قامت مديرية المعارف بافتتاح «المعهد العلمي السعودي» الذي هو بداية التعليم الحديث في المملكة. وكان المعهد يتساوى مع الثانوية العامة، إلا أن الهدف من قيامه هو الإعداد المدرسي للمرحلة الابتدائية نظراً إلى حاجة البلاد الماسة إلى ذلك. وكانت مدة الدراسة ثلاث سنوات تسبقها سنة دراسية إعدادية، وقد ضم لاحقاً قسماً يعنى بالقضاء الشرعي لسد الحاجة القائمة آنذاك. ثم فتحت مدرسة تحضير البعثات في مكة لإعداد المبتعثين للخارج في تخصصات علمية متباينة، ثم كلية الشريعة في مكة المكرمة. وتوالى تأسيس الكليات والجامعات حتى وصلت إلى ثماني جامعات في الوقت الحاضر، متفرقة جغرافياً[٢].

ومع تباين أهدافها، فإن الجامعات في مجملها تتمحور حول تطوير البحث العلمي، وتشجيع إجراء تجارب داخل الجامعات وخارجها، مع تعديل الاتجاهات في المجتمع المحيط الذي تخدمه هذه الجامعات وتغييرها وتطويرها، وكذلك نشر الثقافة والمعرفة وإشاعتهما بين المواطنين، والإسهام في الثقافة وسد حاجة المجتمع من الكفاءات المتخصصة والقيادات الوطنية المدربة، والاهتمام بمشكلات المجتمع الطارئة مع فهمها وتحليلها للوصول إلى حلول قد تكون مفيدة لها. وتحرص الجامعات أيضاً على مواكبة الانفجار المعرفي الحاصل في عالم اليوم، وتقريبه إلى المجتمع بهدف الانتظام في حركة التحديث والمعاصرة.

ويقول حبيب الله بن محمد التركستاني: «نشأ التعليم في المملكة العربية السعودية على ضوء الاحتياجات لإعداد كوادر مؤهلة تسهم في شتى مجالات

= للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م)؛ محمد العيد الخطراوي، **مدرسة العلوم الشرعية** (المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)؛ مركز المعلومات الإحصائية، **تطور التعليم في المملكة العربية السعودية** (الرياض: وزارة المعارف، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ومحمد بن صنيتان، **استراتيجية لمستقبل التربية والتعليم** (جدة: دار القبلة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م).

(٢) وهي: جامعة الملك سعود (الرياض)، جامعة أم القرى (مكة)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (الرياض)، الجامعة الإسلامية (المدينة)، جامعة الملك فيصل (الدمام)، جامعة الملك خالد (عسير)، جامعة الملك عبد العزيز (جدة)، وجامعة الملك فهد للبترول والمعادن (الظهران).

Twitter: @abdullah_1395

الحياة المختلفة، ومن ثم مواكبة حركة التطور الاجتماعي والعلمي المتقدم. وقد أظهرت برامج التنمية الشاملة للمملكة في السبعينيات الحاجة إلى توفير الكوادر العلمية المؤهلة التي تعمل على تحقيق أهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية»[٣].

ثانياً: التعليم العالي

التعليم العالي في المملكة العربية السعودية في درجاته المتقدمة كالماجستير والدكتوراه يتم عادة عن طريق الابتعاث الذي غالباً ما يكون إما إلى أوروبا أو إلى أمريكا الشمالية، كما تم بيانه في الشكل رقم (٣ ـ ٢) الذي سيرد ذكره في هذا الفصل، والذي يبين الدراسات العليا بحسب التخصص للحاصلين على درجتي الماجستير والدكتوراه من أمريكا الشمالية بين عامي ١٩٣٥ و١٩٨٦م. لذا فإن التعليم العالي يتيح لمخرجاته السفر والاحتكاك بثقافات متعددة، بالإضافة إلى الحصول على الشهادة العليا، «المفتاح السحري» للحصول على الوظيفة. وقد يترقى الخريج ـ إذا أضاف إلى تعليمه العالي محددات أخرى ـ إلى المراتب العليا التي من خلالها قد يلج دائرة الصفوة.

وقد بلغ عدد الطلبة الملتحقين بمختلف مؤسسات التعليم العالي في المملكة في العام الدراسي ١٩٩٧م ـ ١٩٩٨م ما يزيد على ٢٩٦٠٢٤ طالباً وطالبة موزعين على النحو التالي: ١٦٥٥٤٥طالباً، و١٠٨٢٣٩ طالبة بكليات البنات التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات، منهن ٩٤٣٢٨ يتلقين تعليمهن في ٤٩ كلية تمنح درجة البكالوريوس، و١٣٩١١ طالبة في ١٩ كلية مطورة تمنح درجة الدبلوم (دون البكالوريوس).

وما تجدر ملاحظته:

ـ أن ما يناهز أكثر من نصف طلبة التعليم العالي هم من البنات، وذلك ما يبرهن الجهد الكبير المبذول لتدريس البنات في المملكة.

ـ الزيادة المنتظمة سنوياً لعدد الطلاب في مراحل التعليم العالي كلها، ولم يسجل أي انخفاض على الإطلاق.

ـ على الرغم من هذا الانتشار فإن إحساساً عاماً بدأ ينتشر بين الطلاب على

---

(٣) حبيب الله بن محمد التركستاني، «دور التعليم في تلبية احتياجات سوق العمل السعودي،» **مجلة العلوم الاجتماعية** (الكويت)، السنة ٢٧، العدد ٣ (خريف ١٩٩٩)، ص ٧٩.

Twitter: @abdullah_1395

مختلف أعمارهم ومراحل تعليمهم وشرائحهم، ويؤشر على عدم التعويل على التعليم في إحداث الحراك الاجتماعي المنشود. فلم يعد التعليم عموماً بحسب اعتقادهم مسلكاً للوجاهة والثراء كما كان الأمر من قبل في أثناء السبعينيات حينما حدّد عبد المحسن بن سعد الداود توقعات الطلاب السعوديين من التعليم العالي في ما يلي:

ـ اعتبار الذات: فالتعليم العالي يكسب الفرد رضىً (عاطفة اعتبار الذات).

ـ الانتقال من مستوى إلى مستوى آخر (تحقيق الحراك الاجتماعي): فالمؤهل الجامعي يقحم الفرد في مجال تحقيق الحراك الاجتماعي الذي به ينتقل من مستوى اجتماعي إلى آخر يكون أفضل وأرقى.

ـ تنمية شخصية الطالب (اكتساب الطالب خبرات حياتية جديدة)...

إن الملاحظة الدقيقة والمحادثات التي أقمتها مع بعض الطلاب تؤكد أن جملة هذه الأهداف قد غدت تدرك بوسائل ومسالك غير التعليم، فعلى عكس ذلك بحسب رأيهم طبعاً، لم يعد التعليم العالي يؤدي إلى الحراك الاجتماعي، وهو يثير الشفقة والسخرية أحياناً حينما نجعله مجالاً لاعتبار الذات التي تضمنها الثروة.. كما أن التعليم يجعلنا فاقدي الخبرات الحياتية، بل أحياناً سذجاً لا نفهم المجتمع ولا نعي الواقع حق وعيه.

ثالثاً: التعليم، التطور الكميّ، تعميم المعرفة

بلغ إجماليّ عدد الطلبة في المدارس الحكومية والأهلية لمرحلة التعليم العام (الابتدائي، والمتوسط، والثانوي) ما يربو على ٣,٨٧ مليون طالب[٤] وطالبة في العام الدراسي ١٤١٨/ ١٤١٩هـ (١٩٩٨م) مقارنة بحوالى ٣,٧٥ مليون طالب وطالبة في العام الدراسي ١٤١٧/ ١٤١٨هـ (١٩٩٧م) أي بزيادة نسبتها ٣,٢ في المئة.

ويبلغ إجماليّ عدد الطلبة الذكور الملتحقين بمدارس التعليم العام (الحكومية والأهلية) التي تشرف عليها وزارة المعارف في عام ١٤١٨/ ١٤١٩هـ (١٩٩٨م) نحو ٢٦٢٠٣٨ طالباً، يشكلون نسبة ٥٢,٧ في المئة من إجمالي طلبة التعليم العام في المملكة للمراحل الابتدائية والمتوسطة والثانوية

(٤) اعتمدنا هنا الإحصائيات التي وردت في: مؤسسة النقد العربي السعودي، **التقرير السنوي الخامس والثلاثون** (١٩٩٩).

Twitter: @abdullah_1395

موزعين كالآتي: ١١٦٥٣٧٨ طالباً بالمرحلة الابتدائية بانخفاض نسبة ٠,٨ في المئة عن العام الدراسي السابق ١٤١٧/١٤١٨هـ (١٩٩٧م)، ونحو ٥٣٧٦٣٥ طالباً في المرحلة المتوسطة بزيادة نسبتها حوالى ٤,١ في المئة عن العام السابق، ونحو ٣٣٥٠١٣ طالباً في المرحلة الثانوية بزيادة نسبتها حوالى ١٢,٠ في المئة. كما يوضح ذلك الجدول رقم (٣ ـ ١)، وكذلك التحق ٢٠٢٩٧ طالباً بمعاهد إعداد المعلمين، و٧٠٤٠ طالباً بمدارس التربية الخاصة و٣٧١٨٤ طالباً بمدارس تعليم الكبار.

وبلغ إجماليّ عدد الطالبات الملتحقات بمدارس التعليم العام التي تشرف عليها الرئاسة العامة لتعليم البنات في عام ١٤١٨/١٤١٩هـ (١٩٩٨م) ١٨٢٩٥٥٩ طالبة يشكلن ٤٧,٣ في المئة من الإجمالي الكلي، منهن نحو ١٠٧٨٢٣٥ طالبة بالمرحلة الابتدائية بانخفاض نسبته ٠,٣ في المئة، ونحو ٤٤٤٧٩٥ طالبة بالمرحلة المتوسطة بزيادة نسبتها ٦,٧ في المئة، ونحو ٣٠٦٥٢٩ طالبة بالمرحلة الثانوية بزيادة نسبتها ١٤,٦ في المئة عن العام السابق. كما التحقت ١٥٢٨٠ طالبة بمعاهد إعداد المعلمات، و٣٧١٥ طالبة بالمعاهد والمراكز المهنية، و٣١٣٢ طالبة بمدارس التربية الخاصة التابعة للرئاسة العامة لتعليم البنات، و٦٩٧٨٠ طالبة في مدارس تعليم الكبار. ويوضح الشكل تطور عدد الطلبة الملتحقين بمراحل التعليم العام، وقد ارتفع عدد الطلاب ارتفاعاً كبيراً، ما يؤكد الثورة التعليمية الحادثة بالمملكة.

وبعيداً عن لغة الأرقام، فإن الباحث الاجتماعي يهتدي إلى جملة من الملاحظات اعتماداً على التقارير والأدبيات التي تنشرها الدوائر الرسمية المعنية بالتعليم العام، أهمها: ـ أن التعليم ما زال ينظر إليه باعتباره تربية غرضها الأول[٥] تنشئة الأحداث على القيم الإسلامية، فمن جملة ٢٠ مادة تدرس بالمرحلة الابتدائية، وهو عدد ضخم يفوق قدرات الوعي وفهم التلاميذ، تستحوذ مواد التعليم الديني واللغة العربية على ١٢ مادّة موزّعة على المواد التالية: قرآن كريم، تجويد، توحيد، فقه، حديث، سلوك وتهذيب، هجاء وكتابة، قراءة ومطالعة، أناشيد، محفوظات، إملاء وخط، . . ويتواصل الأمر نفسه أو يكاد في مرحلة المتوسطة (الإعدادية).

ـ التأخر النسبي في تلقين اللغات الأجنبية، فاللغة الإنكليزية تكاد تكون

(٥) انظر: مركز المعلومات الإحصائية، **تطور التعليم في المملكة العربية السعودية.**

Twitter: @abdullah_1395

اللغة الأجنبية الوحيدة التي تدرس، ولا يشرع الطالب في دراستها إلا في السنة الأولى من المرحلة المتوسطة، ما يقلص من فرص التعرف إلى ثقافات أخرى في سن مبكرة.

إن مناهج التعليم في كل مراحله الدراسية يحتاج إلى مراجعة شاملة يراعى فيها واقع الحال، ومستجدات الحياة اليومية، وحاجة المجتمع إلى ما يؤدي إلى تقدمه مادياً وروحياً، سواء على مستوى الكم والكيف أم الكيف، وحتى على مستوى المعلم. فبعض معلمي العلوم الدينية معلمون مؤدلجون يشتطون عند تلقين الدرس لتلاميذهم خلافاً لمنهج الوزارة (٥٤). وأخيراً دس في المناهج الكثير مما ليس في المنهج كتحريم الصور، وتحريم زيارة القبور، وبعض الممارسات التي يمارسها المسلمون.

الجدول رقم (٣ ـ ١)
التعليم العام في المملكة

	الإناث	الذكور	المجموع	الإناث	الذكور	المجموع
	عـــدد الطلبـــة والطالبـــات					
ابتدائي	١٠٧٨٢٣٥	١١٦٥٣٧٨	٢٢٤٣٦١٣	١٠٨١٧٧٤	١١٧٤٤١١	٢٢٥٦١٨٥
متوسط	٤٤٤٧٩٥	٥٣٧٦٣٥	٩٨٢٤٣٠	٤١٦٩١٩	٥٦١٤٢٦	٩٣٣٣٤٥
ثانوي	٣٠٦٥٢٩	٣٣٥٠١٣	٦٤١٥٤٢	٢٦٧٥١٩	٢٩٩٢٠٨	٥٦٦٧٢٧
المجموع	**١٨٢٩٥٥٩**	**٢٠٣٨٠٢٦**	**٣٨٦٧٥٨٥**	**١٧٦٦٢١٢**	**١٩٩٠٠٤٥**	**٣٧٥٦٢٥٧**
	عـــدد المعلميـــن والمعلمـــات					
ابتدائي	٩٦٢٨٢	٨٦٢٥٢	١٨٢٥٣٤	٩٠٦٦٨	٨٤٧٩٠	١٧٥٤٥٨
متوسط	٤٠١٩٨	٤٠٣٤٩	٨٠٥٤٧	٣٥٩٦٥	٣٨٥٤٥	٧٤٥١٠
ثانوي	٢٦٧٩٢	٢٠٩٣١	٤٧٧٢٣	٢٢٢٧٥	١٩١٢٢	٤١٣٩٧
المجموع	**١٦٣٢٧٢**	**١٤٧٥٣٢**	**٣١٠٨٠٤**	**١٤٨٩٠٨**	**١٤٢٤٥٧**	**٢٩١٣٦٥**
	عـــدد المـــدارس					
ابتدائي	٥٨٤٧	٦٠١١	١١٨٥٨	٥٥٧٦	٥٩٣٣	١١٥٠٩
متوسط	٢٤٣٧	٣٠٦٨	٥٥٠٥	٢٢٢٣	٢٩٢٨	٥١٥١
ثانوي	١٣٦١	١٤٨٠	٢٨٤١	١١٧١	١٣٤٥	٢٥١٦
المجموع	**٩٦٤٥**	**١٠٥٥٩**	**٢٠٢٠٤**	**٨٩٧٠**	**١٠٢٠٦**	**١٩١٧٦**

المصدر: وزارة المعارف والرئاسة العامة لتعليم البنات.

Twitter: @abdullah_1395

الشكل رقم (٣ ـ ١)

تطور عدد الطلبة الملتحقين بالتعليم العام في المملكة

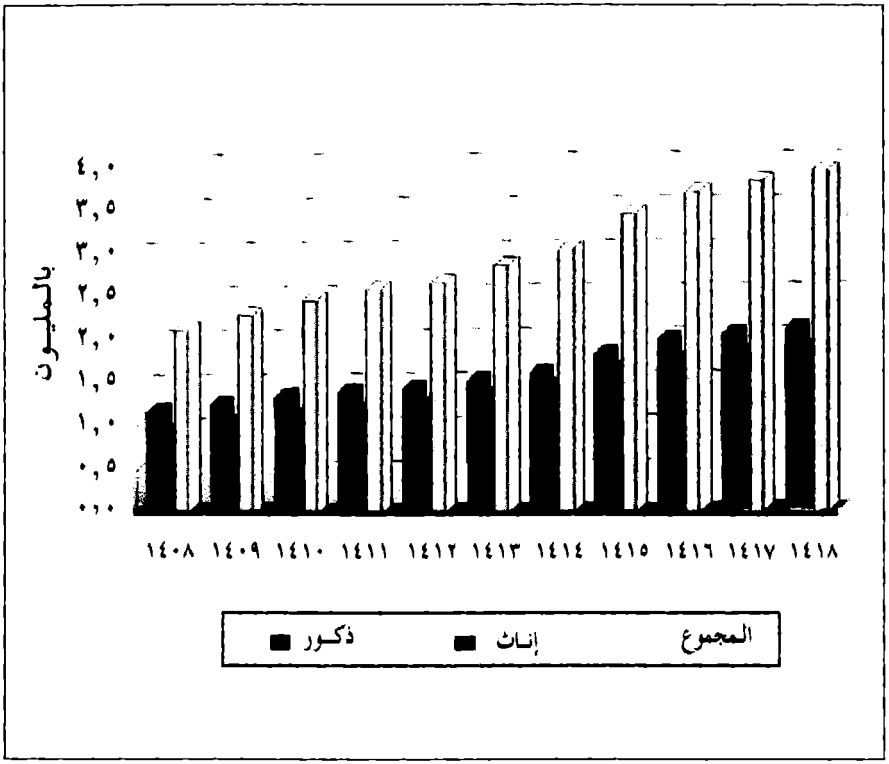

المصدر: مؤسسة النقد العربي السعودي، **التقرير السنوي الخامس والثلاثون** (١٩٩٩)، ص ١٩٨.

رابعاً: أهداف التعليم العالي

ومما توليه الجامعات السعودية، استناداً إلى سياستها المكتوبة، أهمية غرس القيم الروحية، وتنمية الوازع الديني، وربط طلبتها بتراثهم الأصيل، كما تحرص على مواكبة التغيير الذي يحصل في محيطها.

وتأتي أهمية الجامعات أيضاً من جهة تنويرها المجتمع بالتيارات الفكرية المختلفة ونقدها وتوضيحها، والرد عليها كلما اقتضى الأمر. وتقوم أيضاً بتدريس وإعادة تدريب وتأهيل أصحاب الكفاءات لمواكبة الجديد الحاصل في مجال تخصصاتهم.

Twitter: @abdullah_1395

وقد حددت سياسة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية الأهداف التالية في شكل نقاط محددة، كما ورد في نصوص سياسة التعليم بالمملكة ونُظمها، ولعل أهمها وأكثرها إلحاحاً: ـ تنمية العقيدة الإسلامية من خلال متابعة تزويد الطالب بالثقافة الإسلامية التي تشعر الإنسان بمسؤوليته أمام الله عن أمة الإسلام، لتكون إمكانياته العلمية والعملية نافعة ومثمرة.

ـ إعداد مواطنين أكفاء ومؤهلين علمياً وفكرياً تأهيلاً عالياً لأداء واجبهم في خدمة بلادهم والنهوض بأمتهم في ضوء العقيدة السليمة ومبادئ الإسلام السديدة.

ـ إتاحة الفرصة أمام النابغين لإتمام الدراسات العليا في التخصصات العلمية المختلفة.

ـ القيام بدور إيجابي في ميدان البحث العلمي الذي يسهم في مجال التقدم العلمي في الآداب والعلوم والمخترعات، وإيجاد الحلول السليمة لمتطلبات الحياة المتطورة واتجاهاتها التقنية.

ـ النهوض بحركة التأليف والإنتاج العلمي بما يطوع العلوم لخدمة الفكر الإسلامي، ويمكّن البلاد من دورها القيادي لبناء الحضارة الإنسانية على مبادئها الأصلية التي تقود البشرية إلى البر والرشاد، وتجنبها الانحرافات المادية والإلحادية.

ـ ترجمة العلوم وفنون المعرفة النافعة إلى لغة القرآن، وتنمية ثروة اللغة العربية من (المصطلحات) بما يسد حاجة التعريب ويجعل المعرفة في متناول أكبر عدد من المواطنين.

ـ القيام بالخدمات التدريبية والدراسات (التجديدية) التي تنقل إلى الخريجين الذين هم في مجال العمل ما يجب أن يطلعوا عليه مما جدّ بعد تخرجهم[٦].

ويتضح من خلال قراءة النقاط الواردة كمبادئ لسياسة التعليم في المملكة شمولية الأهداف من حيث الحفاظ على التراث الإسلامي ومسايرة ما

---

(٦) الداود، **التعليم العالي في المملكة**، ص ٦٣ ـ ٦٤.

Twitter: @abdullah_1395

يحصل في العالم، وذلك بالحرص على نقل المعرفة بعلومها وتقنياتها من خلال رعاية البحث العلمي ومحاولة الإسهام في تطويره.

ومن الممكن القول إن سياسة التعليم في المملكة قد انفردت في ما يتعلق بتعليم المرأة بتخصيص مدارس لها درءاً لاختلاطها بالذكور، كما وظفت تقنيات الاتصال السمعي والبصري في طرق التدريس تحقيقاً لهذه الخصوصية التي لم تمنع المرأة من تحقيق مكاسبها التعليمية والوصول بها إلى مراحل أخيرة من التعليم العالي؛ وذلك بتركيز المناهج النسوية التربوية على أن تعد الفتاة في المجتمع السعودي لتصبح أماً وربة أسرة ومواطنة تتحمل مسؤولياتها كاملة.

واضطلعت المعاهد والكليات المتخصصة بالعلوم الشرعية (العلوم التقليدية) بمهمة نشر علوم الدين من عبادات ومعاملات، فأصبحت منارة لنشر علوم الدين الإسلامي منافسة الأزهر وغيره من المراكز العلمية الشرعية في العالم الإسلامي.

غير أن التحولات المعرفية والاجتماعية والاقتصادية التي عرفتها المنطقة العربية في مقابل ثبات طرق التكوين للعلوم الشرعية ومتطلبات الواقع المعاصر أوجدت تكويناً معرفياً ليس بديلاً ولكنه رديف يشمل مؤسسات بيداغوجية ذات معارف عصرية ـ لا تخالف بالضرورة قواعد الشريعة ـ كأداة منتجة لنخبة مثقفة مغايرة لخريجي الكليات التقليدية. وقامت بتخريج كوادر إدارية وسياسية واقتصادية في الدولة مجاراة للنموذج الحديث.

وهذا ما تشهده الجامعات العصرية من توسع وفاعلية في دورها. ويكافأ المعيدون في مؤسسات التعليم العالي بالمجتمع السعودي بمواصلة تعليمهم في الخارج في عدة تخصصات، كما يتضح من الشكل رقم (٣ ـ ٣).

واللافت أن نسبة المبتعثين للخارج في اختصاصات الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية لا تزال مرتفعة مقارنة بما في الاختصاصات العلمية الأخرى، فمن جملة ٢٩٧٥ طالباً وطالبة تقريباً تم ابتعاثهم إلى الخارج عام ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م نجد ٢٩١ في الاختصاصات الأدبية والإنسانية والاجتماعية، كما يتضح من الجدول رقم (٣ ـ ٢) الذي يمثل إجماليّ الطلبة المبتعثين للدراسة في الخارج بحسب المستوى الدراسيّ.

Twitter: @abdullah_1395

الشكل رقم (٣ ـ ٢)
السعوديون الحاصلون على الدراسات العليا من أمريكا الشمالية
من عام ١٩٣٥ ـ ١٩٨٦م (بحسب التخصص)

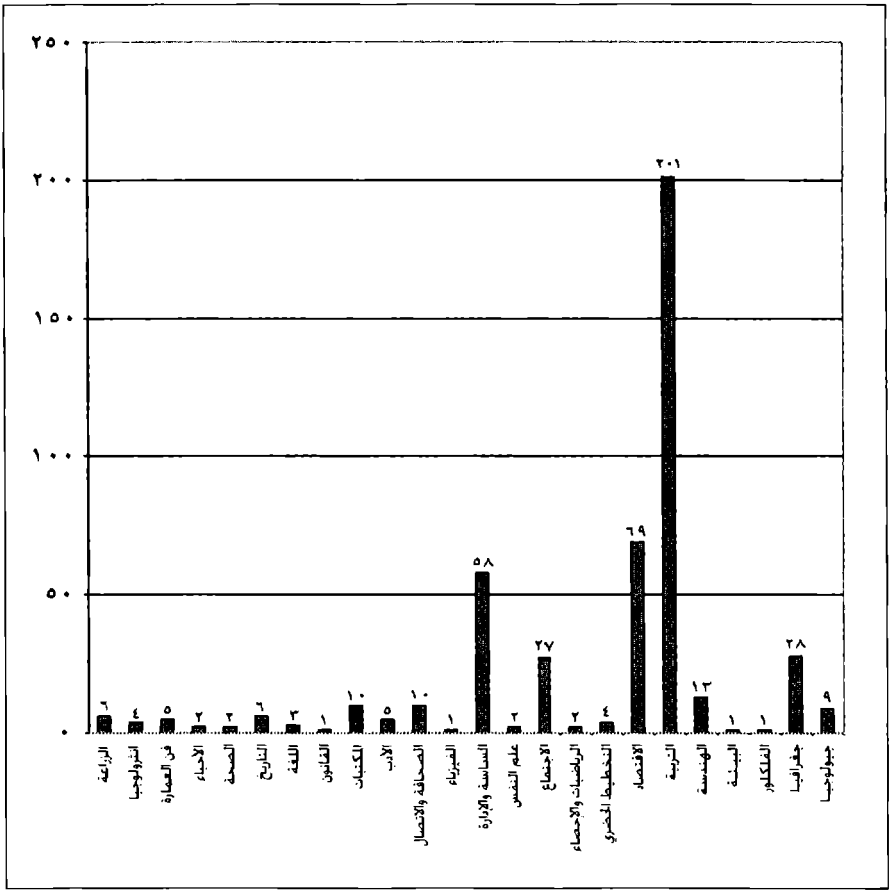

المصدر: عبد الله ناصر لوليعي، **رسائل الماجستير والدكتوراه عن دول مجلس التعاون في جامعات أمريكا وكندا (١٩٣٥ ـ ١٩٨٦)** (الرياض: دار الوطن للنشر والإعلام، ١٩٨٧).

إن سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية أسقطت من حسابها كل ما يتعلق بالفنون والفرق الفنية والمسارح، وكل ما يتعلق بقضايا الفكر المتعلق بالآداب والفنون من خلال عدم احتضانها للمواهب الشابة التي لديها الاستعداد الفطري التلقائي، وتواصل الأجيال في تكوين رصيد وطني من الآداب والفنون.

Twitter: @abdullah_1395

الجدول رقم (٣ ـ ٢)

إجمالي الطلبة المبتعثين للدراسة في الخارج

المستوى الدراسي	دون الجامعة		بكالوريوس		دبلوم عام		ماجستير		دكتوراه		أخرى		مجموع	
	جمله	إناث	جملة	إناث	جملة	إناث	جملة	إناث	جملة	إناث	جملة	إناث	جملة	إناث
مجالات الدراسة														
علوم إنسانية	٩	٩	٨١	٥٠	٤	٤	٥٦	٢١	٥٠	٦	١	ـ	٢٠١	٩٠
تربية وتعليم	ـ	ـ	١٧	١٥	١٢	١٢	٣٥	١٨	٥٨	١٥	ـ	ـ	١٢٢	٦٠
علوم اجتماعية	ـ	ـ	٢٠٠	١٤	٥	٥	٩٢	٢٥	٢٢٩	٧	ـ	ـ	٥٢٦	٥١
علوم طبيعية	ـ	ـ	٢١٦	٣٤	١٣	١٣	١٠٠	٢٤	١٨٥	١٨	ـ	ـ	٥١٤	٨٩
هندسة	ـ	ـ	٢٠١	٣	ـ	ـ	٤٣	ـ	١٢١	ـ	ـ	ـ	٣٦٥	٣
طب	ـ	ـ	١٠٢	١٢	ـ	ـ	٥٣	٣	٢٠٢	١٩	٢٥٢	١٦	٦٠٩	٥٠
زراعة	ـ	ـ	٧	٢	ـ	ـ	٢١	ـ	٣٥	ـ	ـ	ـ	٦٣	٢
قانون	ـ	ـ	٤	ـ	ـ	ـ	١٢	ـ	١٣	ـ	ـ	ـ	٢٩	ـ
فنون جميلة	ـ	ـ	١٤	١٢	٥	٥	٧	٦	٥	٣	ـ	ـ	٣١	٢٦
مواد متنوعة أخرى	ـ	١٠	٥٧	١٣	٣	٣	٩	٤	١٥	١	ـ	ـ	١١٣	٣١
المجموع	**ـ**	**١٩**	**٨٩٩**	**١٥٥**	**٤٢**	**٤٢**	**٣٢٨**	**١٠١**	**٩١٣**	**٦٩**	**٢٥٣**	**١٦**	**٢٥٧٣**	**٤٠٢**

المصدر: مركز المعلومات الإحصائية، **تطور التعليم في المملكة العربية السعودية** (الرياض: وزارة المعارف، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م)، ص ٨٧.

Twitter: @abdullah_1395

في حين اقتصرت كليات الشريعة ومعاهدها على تخريج الكوادر المهنية للقضاء وكتاب العدل والتدريس والإفتاء وتقسيم المواريث والأحوال الشخصية، ما جعلها مراكز تكوين مهني أكثر منها مجال تجديد وبحث. إلا أن هناك درجة من الوعي تتنامى لدى هذه المؤسسات ـ بعد تحويل كلية الشريعة بالرياض إلى جامعة الإمام محمد بن سعود ـ بضرورة تغيير الأساليب التعليمية ومضامينها، فاختطت لنفسها برامج للابتعاث من أجل مسايرة العصر حتى لا يتجاوزها التاريخ فتهمش.

خامساً: التعليم والحراك الاجتماعي

تعد المؤهلات الدراسية من أهم المؤشرات التي ينظر إليها بعين الاعتبار عند دراسة الحراك الاجتماعي في المملكة، فالتعليم يعد من أهم المعايير التي تستخدم في تقدير مستوى التنمية في المجتمعات المعاصرة. ويضفي التعليم العالي على خريجيه في المجتمع السعودي قيمة اجتماعية وثقافية كبيرة. فالحراك الاجتماعي والاقتصادي وتحقيق الصعود في السلم الاجتماعي ظلا إلى وقت قريب من المسائل المرتبطة بالتعليم العالي. ومنذ تأسيس الكيان السعودي حتى هذا اليوم ظلت الحكومة تؤدي دوراً كبيراً وبارزاً في تأمين مجانية التعليم وتوسيعه رأسياً وأفقياً حتى أصبح جزءاً مهماً من مشروع التكافؤ الاجتماعي الأوسع إيماناً منها بمبدأ تكافؤ الفرص ـ الذي وإن أقرّته النصوص التنظيمية نظرياً فإنه لا يزال بعيد المنال واقعياً. فاختلاف حظ الأقاليم والمناطق من التنمية، وازدياد حدّة الفروقات بين الطبقات والفئات يجعلان الفرص غير متكافئة.

ولم يقتصر الاهتمام بالتعليم على مجانيته في الداخل، بل تعدى ذلك إلى كثرة المنح الدراسية لإتمام الدراسات العليا في الجامعات خارج الحدود في كافة قارات العالم[٧]، ما أتاح فرصاً تعليمية جديدة أمام شرائح كبيرة من المجتمع السعودي. وقد أطلق التعليم في السبعينيات ـ على الصعيد الفردي ـ حراكاً اجتماعياً بالنسبة إلى المواطن العادي، كما أدى إلى إيجاد جيل جديد من التكنوقراط المؤهلين للاضطلاع بدور فاعل في عملية التنمية على الصعيد

---

(٧) انظر: عبد الله ناصر لوليعي، **رسائل الماجستير والدكتوراه عن دول مجلس التعاون في جامعات أمريكا وكندا (١٩٣٥ ـ ١٩٨٦)** (الرياض: دار الوطن للنشر والإعلام، ١٩٨٧).

Twitter: @abdullah_1395

الاجتماعي. وتميز التعليم في المملكة في الستينيات والسبعينيات أساساً بأن مخرجاته لم تكن حكراً على طبقة أو إقليم أو أسرة معينة، بل اعتبر الحراك التعليمي حقاً مُشاعاً للجميع. فلا توجد فواصل أو موانع رسمية تحول دون أن يكون المواطن السعودي متعلماً أو مثقفاً، وذلك ما جعلني أعدّه أكثر الأشياء توزيعاً «ديمقراطياً» على المستوى النظري على الأقل، على الرغم من أن هذا الحراك تقلص في التسعينيات بعد أن شهدت السعودية، ولأوّل مرة، ظاهرة بطالة خريجي التعليم العالي.

ولما كانت معايير التعليم هي القدرات والكفاءة والأهلية والتحصيل المدرسي، تمكنت العائلات الفقيرة والمتوسطة ـ وجلها من القبائل وفئات أخرى ـ من الاستفادة من الحراك الاجتماعي الصاعد (بالتعليم فقط). إلا أن سياسة التعليم المرسومة في ما بعد ارتدت على عقبيها بابتداعها امتحانات القبول والمقابلة الشخصية[٨]، ليأخذ التسجيل الجامعي الطابع الانتقائي النخبوي من خلال تدخل الواسطة والمحسوبية التي تحرم من ليس له رأسمال اجتماعي يعول عليه سوى تعليمه وشهادته التي راهن عليها من أجل تحقيق حراكه الاجتماعي الصاعد. فالامتحان التمهيدي والمقابلة الشخصية يؤديان دوراً انتقائياً لفائدة من يملكون رأس مال اجتماعياً على حساب من لا يملكون.

ومن الشكل رقم (٣ ـ ٣) يتضح تدخل الواسطة مناطقياً في فرص الابتعاث إلى خارج المملكة. والمؤلف يعرف حالات كثيرة يكون فيها بعض الطلاب من الفئات المهمشة قد حصل على درجة الامتياز، وزميله في الصف لم يحصل إلا على درجة جيد، إلا أن الواسطة تفتح له باب الولوج للجامعات أو الكليات العسكرية، حيث يتخرج من حصل على درجة جيد في رتبة ضابط. أما من حصل على درجة امتياز من تلك الفئات المحرومة من الواسطة فيكون برتبة جندي، ما قد يجعله يتحطم نفسياً إذا صادف وعمل الاثنان في وحدة واحدة؛ هو برتبة جندي وزميله الذي يعرف قدراته تماماً وقد أصبح قائده. وأحياناً قد لا يجد حتى رتبة جندي. وقد ينتهي به المطاف

(٨) «المقابلة الشخصية»: يقصد بها أداة ومعيار تنتهجه الجامعات في المملكة لمقابلة الطالب «لقياس» مؤشرات عدة، كقدرات الطالب الذهنية وقابلياته المعرفية وقد أضحت عرضة للواسطة والمحسوبية.

Twitter: @abdullah_1395

إلى الخلايا داخل السراديب المظلمة، ما يسبب لأهله الحسرة، والخوف عليه إما من القتل أو من السجن.

إن الأكاديميين السعوديين، المبتعثين من دوائر البيروقراطية، عندما يعودون من جامعات أوروبا وأمريكا وهم يحملون الكفاءات العلمية نفسها التي يحملها زملاؤهم في الغرب، والمقدرون في بلادهم لكفاءتهم ومؤهلاتهم واستحقاقاتهم، يشعرون حين عودتهم إلى الوطن والمجتمع الذي ابتعثهم أنهم يستقبلون بالشك والريبة والحسد من قبل رؤسائهم وزملائهم في بيئة العمل ومحيط مجتمعهم، وقد يكون ذلك راجعاً لعوامل عدة، منها:

ـ في **البيروقراطية الحكومية**: فإن رؤساءهم وزملاءهم في العمل الذين لا يحملون مؤهلاتهم نفسها يقيمون الأسوار المنيعة في وجوههم، ويحولون دون تمكنهم من الفرص، ويبعدونهم عن ممارسة اختصاصاتهم، ما لم يكونوا أبناء بيئتهم أو يملكون مفتاح الواسطة. وهذا مما يسبب للعائدين خيبة أمل ويأساً وإحباطاً، وقد دفع الكثيرين منهم إلى ترك العمل في مجال تخصصاتهم، وقبول أعمال لا علاقة لها بما درسوه. أما بعضهم فقد عاد أدراجه إلى البلد الذي درس فيه وتخرج منه. فالرؤساء والزملاء في العمل وفي المجتمع خارج العمل يرون في الخريج القادم من الغرب البعد الكلي عن واقع الحياة، ولا سيما إذا كان مسكوناً بالحماسة الوطنية، ويرونه شاباً متكبراً مغروراً بشهادته وبلغته الأجنبية، يعيش الأوهام، ويحلم بنظريات أفلاطونية مثالية. وعندما يتحدث خريج الدراسات العليا عن الوطنية والإخلاص والتضحية يتهمونه بأنه يقصد أنهم غير وطنيين وغير مخلصين. إنهم لا يفهمون قاموسه، بل يفهمون قاموس المنح والانتدابات للخارج والشركات والأسهم ومكاتب العقارات.

وعلى الخريج أن يعطي الانطباع بأنه جاهل أو غبي، وأن يدس شهادته في «سحارة» جدته، وألا يفتح «السحارة» حتى عندما تموت جدته بحثاً عن وصيتها.

ولا بد أن يظهر أمام رئيسه أنه مطيع منفذ، فالمناقشة وطرح الخيارات يعتبرهما فلسفة وجدلاً بيزنطياً، فهو لم يصل إلى مقعده هذا إلا من خلال شخصيته القزمية، ولا بد أن يكون سمساراً لرئيسه، حاملاً المقاضي إلى

Twitter: @abdullah_1395

المنزل، جاهزاً للخدمة في منزل الرئيس في المناسبات، مقدماً له الهدية تلو الهدية. وسيتطوع له من محبيه من ينصحه بنكران ذاته وتحويل رقمه إلى صفر، ولا بد أن يكون كذلك، ويعتاد قبول أوامر رئيسه فهي سبب النجاح. وهو أعلم منه بخبرته وتقديره للأمور وفهمه لنفسية المدير العام والوزير...

وسيجد من يندب نفسه للوعظ والإرشاد ويهديه قاموس مقتضى العصر: «تمسكن حتى تتمكن». ومنهم من يقول له: اصبر. ومنهم من يقول: «لا تقف في وجه التيار حتى لا تطأ النار». وهناك من يقول له: «تملق فهذه مجاملة في قاموس العصر، وكن خادماً لرئيسك ومدير مكتب رئيسك وحتى سمسار رئيسك، ولا تغضب حينما تدخل على رئيسك في قضايا وطنية ملحة ومستعجلة وتجلس في مكتب مدير المكتب الساعات الطوال، والسمسار داخل مكتب رئيسك، وعندما يخرج ينظر إليك بشزر وغطرسة، وبابتسامة مملوءة بالسخرية». وقد تهون عليك نفسك إذا كان هذا السمسار مرؤوساً لك في السابق.

ومن المفارقات المضنية وغير الأخلاقية التي شاهد المؤلف الكثير منها أن مثل هذا المتمسكن المطيع الهادئ الطباع بالنسبة إلى رئيسه، والذي أوصلته طباعه هذه لأن يصبح في مكان رئيسه إذ يتم نقله أو إحالته على التقاعد، ما يلبث أن ينتقم من كل الأزلام للرئيس السابق، على عكس المرؤوس غير المريح في نظر الرئيس السابق، فشجاعته التي دفعته إلى الصراحة في وجه رئيسه هي ذاتها التي قيدته ومنعته من التعرض له عندما تحول من السلطة، بالاضافة إلى أخلاقه ومعدنه بطبيعة الحال.

وعلى كل خريج في المجتمع السعودي متميز بجدارته أو معرفته أو شهادته أو طموحه الوطني، بعفته وحيائه ومعدنه أن يعي ذلك جيداً من زميل له سابقة بالتجربة التي سيمر بها، وسيمر بها كل خريج لاحقاً طالما بقيت هذه العقبات الوطنية والأخلاقية والاجتماعية التي واجهها الكاتب سواء في مؤسسته الصغيرة التي يعمل بها، أم في مؤسسته الكبيرة (المجتمع). فقد كاد محدثكم ينهزم، ويقبل أيادي الكبار، وينحني كذلك للصغار من البلاط. لقد واجه صاحب هذا الطرح هذه العقبات كلها، وكاد يضعف أمام التيار العارم لولا إرادة الله، ثم بقية من حياء عربي، وسجية تحدرت به من ظهر شيخ عاش ومات وما انحنى إلا في صلاته.

Twitter: @abdullah_1395

ـ **في القطاع الخاص**: إذا أراد الخريج أن يعمل في القطاع الخاص بعدما واجه ما واجه في القطاع العام، فالعقبات نفسها يعاد إنتاجها هناك، ولكن مع الموظف الأجنبي هذه المرة. إنه يرى في الخريج السعودي الخطر القادم، ويتحفز من الوهلة الأولى للقضاء عليه بادعاء «أن السعودي لا يرغب في العمل الميداني، وهو كسول ويريد العمل بجانب أهله، ويريد أن يأتي له العمل بدلاً من أن يذهب هو إليه».

إن المشكلة تلد في رحم المشكلة، وتتخلق في شماعة الربح والإنتاج. وقد واجهها المواطن السعودي ابتداءً مع شركة آرامكو، كما ذكرت لكم في فصل النفط، واستمرت المواجهة في القطاع الخاص مهما صغر حجمه.

الشكل رقم (٣ ـ ٣)
السعوديون الحاصلون على الدراسات العليا من أمريكا الشمالية
من عام ١٩٣٥ ـ ١٩٨٦ بحسب التقسيم الجغرافي للمملكة

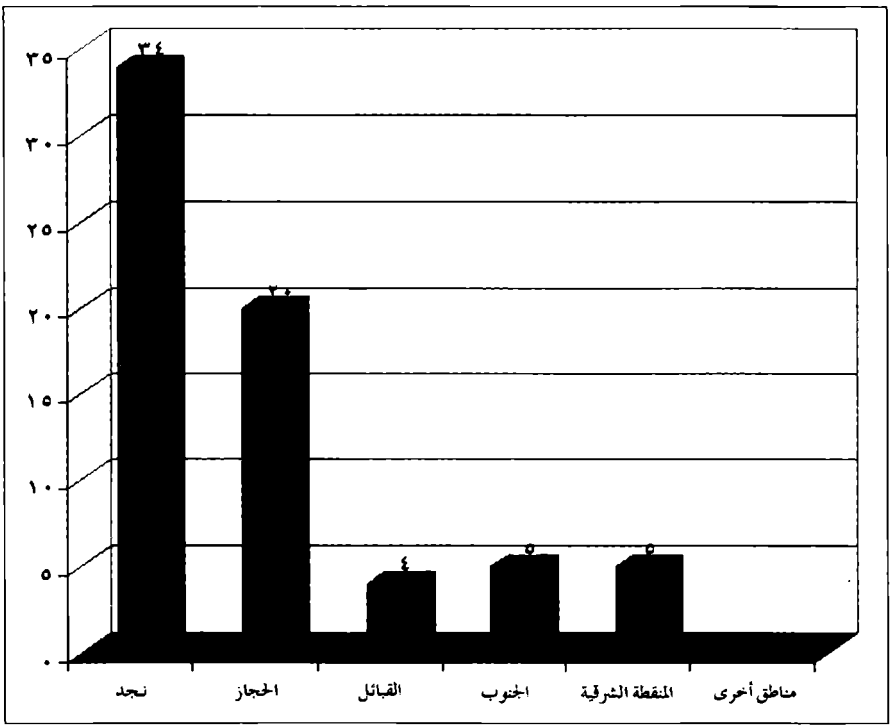

المصدر: لوليعي، رسائل الماجستير والدكتوراه عن دول مجلس التعاون في جامعات أمريكا وكندا (١٩٣٥ ـ ١٩٨٦).

Twitter: @abdullah_1395

ومن كل ما ذكر في هذا الفصل عن التعليم فإن المخطط السعودي مقتنع بضرورة تحسين طرقه، فأي مجتمع طموح لا يتوقف طموحه في تحسين وسائل تقدمه المعرفية عند حد معين. ومنذ وجد الإنسان على وجه البسيطة وهو يتدرج في ارتقاء سلم المعرفة ابتداء من معرفته بإيقاد النار لطبخ مأكله، وحتى ما وصل إليه من تقدم تكنولوجي سبر به أغوار الأرض وصعد به إلى السماء. وهو على الرغم من ذلك لا يزال يواصل تدرجه نحو المعرفة التي من دونها لا يجد مفتاح حل لأي مشكلة تواجهه. فالإنسان ـ وكما أمر الله ـ يأمل من المعرفة الكثير، وطالب المعرفة مثل طالب الثروة لا يشبع. فالعلم مثل الحصان الرابح الذي على الرغم من سبقه يساط بالعصا رغبة في زيادة المسافة من السباق. ولهذا نجد المؤسسات التربوية العالمية لا تزال غير راضية عن أداء التعليم، بما فيها الدول المتقدمة التي بلغت شأواً عظيماً من التقدم المعرفي التقني، وتسعى إلى المزيد من التطوير في هذا المجال.

إن منظمة اليونسكو كثيرة الشكوى والانتقاد لمناهج التعليم وطرق التدريس في غير بلد، فالتربية والتعليم كثيراً ما يعجزان عن التعمق في فهم الظواهر الاجتماعية المحيطة بهما كالحرب والسلم، والعوز الاقتصادي والحيف والظلم الاجتماعي، والقهر السياسي، والتمييز العنصري والإقليمي والفئوي والديني والمذهبي. ومهمة التربية والتعليم من أخطر المشكلات التي تواجه العالم كله على الرغم من التفاوت النسبي في التقدم المعرفي بين المجتمعات.

قد يكون العالم العربي من أكثر المجتمعات التي تواجه خطر التعليم المستعار المجتث من بيئة غير عربية ـ إسلامية. فهو لا يتكيف مع البيئة المستزرع بها ولا يتلاءم معها. وهذا من دون أن نلغي أهمية الرؤية الذاتية لاستخلاص الخصائص المشتركة، مثل الاتجاهات الجديدة المنتشرة في عالم العصر على مختلف أنظمته. وهو في حاجة ماسة إلى مراجعة مناهجه ذات البيئة العربية الإسلامية التي تعتمد على التنظير والتلقين والجمود والبعد عن الاجتهاد حتى في طرائق التدريس.

إن آلية المخططين والاستراتيجيين تتضمن في أسسها وركيزتها التعليم والتربية. فالتنمية لن تقوم بدورها المرضي إلا من خلال دراسات وبحوث معمقة محيطة بمفهومها ومحددة لأولياتها، لمعرفة ما يحيط بها من قضايا، وما يمس جوانبها من مشكلات. لذلك نتمنى على المخططين للتربية والتعليم

Twitter: @abdullah_1395

في الوطن العربي تتبع مراحل التعليم، **أولاً** على مستوى المعلم، **وثانياً** المنهج والامتحان والأسرة وحتى الميزانيات العامة للتعليم وتفضيل الكوادر التعليمية والتربوية على سائر الكوادر.

إن المشاريع التنموية في مجال التربية والتعليم لا تنسجم مع إمكانات الدولة المالية، وبالذات في الحقبة الماضية التي اشتهرت بحقبة «الطفرة». فمعظم المدارس لا تزال مستأجرة، وهي مبان أعدت للسكن العائلي وليس للصفوف الدراسية. كما أن المدارس الحكومية تفتقر إلى الورش المهنية والحرفية، وإلى كل ما يمكن أن يعلم حتى أبجديات التقنية. وهي تفتقر إلى المكتبات وأماكن التسلية والترفيه والألعاب الرياضية والمقصاف الصحية للغذاء الجيد. إن الطلاب يعتبرون المبنى المدرسي سجناً للعقاب، وليس مكاناً للدراسة. فيه يتململ الطالب من طول الحصص الدراسية، وينتظر الخروج منه بفارغ الصبر. إنه يمزق الكتب في آخر العام الدراسي. و«يشخبط» على الجدران في كتابات تدل إلى كرهه للمدرسة، فيكسر نوافذها في بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى يعتدي على المدرس.

إن بعض الدور المستأجرة أقل مستوى بكثير من منازل الطلاب أنفسهم، بل إن معظم المباني المستأجرة في الأرياف والقرى النائية لا يوجد بها مكيفات ولا كهرباء ولا تلفون ولا حتى ماء صحي نظيف. إن الماء يجلب إليها بواسطة صهاريج من أماكن بعيدة، ومن آبار غير معالجة لغرض السقيا. والمقاعد الدراسية غير مفروشة، والمدرسون يأتون من أماكن بعيدة، بعضهم من مسافة أكثر من مائتي كيلومتر ويعود إلى منزله في اليوم نفسه. إنه يأتي إلى المدرسة منهكاً ومتعباً من طول المسافة ووعورة الطريق غير المعبدة، فيلقي دروسه على عجل ليعود أدراجه إلى منزله البعيد. وهو يتهيأ لمعاودة الرحلة القاسية من الصباح الباكر مرة ثانية، وهكذا دواليك طوال العام الدراسي. ويضاف إلى ذلك كله أن البيئة المحيطة لا تساعد على حب المدرسة، ما يجعل من حضور المعلم والطالب مجرد روتين لا يعمق في نفس كل منهما أساسيات التربية ولا أبجديات المعرفة.

في المملكة العربية السعودية، وخلال السنوات الماضية، زاد عدد الخريجين زيادة كبيرة، حتى أنه بات من الصعب أن تستوعبهم مجالات العمل. وكثرة مخرجات التعليم من دون الإعداد الجيد لمواجهة متطلبات

Twitter: @abdullah_1395

سوق العمل لا تقتصر مساوئها على ضعف مخرجات التعليم فقط، بل تتعدى ذلك إلى عواقب سيئة على المستوى النفسي والاجتماعي. فقد انتشرت البطالة بين الشبان، فضلاً عن الشابات اللواتي لا يستوعب سوق العمل السعودي منهن إلا النزر البسيط جداً، على الرغم من تفوقهن العددي على الشبان في مخرجات التعليم الجامعي، في حين كثر العمل لغير المواطنين. وسبب ذلك أن الشاب السعودي لا تؤهله مدرسته أو معهده أو جامعته لمواجهة متطلبات القطاع الخاص وحاجة سوق العمل، كما أن البيروقراطية الرسمية لا تستطيع أن تستوعب الأعداد المتزايدة من الخريجين الذين لا تمنحهم شهاداتهم التي يحملونها أكثر من حفظ النصوص التي غالباً ما ينسونها قبل وصولهم لمنازلهم بعد الامتحان.

ولعل هذا التشاؤم مرده التصنيف التالي:

ـ فئة من الشبان أميون، ومع أميتهم ليس لديهم أدنى مستوى من الإعداد لتحمل أي شغل منتج أو حتى وظيفة مكتبية. وليست لدينا نسب محددة للأمية، ولكن يكفي أن يعلم أن التعليم غير إلزامي، وهو مؤشر كاف لوجود أمية بصرف النظر عن نسبتها.

ـ المنقطعون عن الدراسة، أي المتسربون من المراحل التعليمية، ليسوا بأحسن حال من الفئة الأولى.

ـ شباب استطاعوا مواصلة دراستهم، ولكن تكوينهم وإعدادهم لا يتناسب واحتياجات العمل.

ـ فئة رشحت للعمل بموجب الشهادة الدراسية، ولكنها لم تتأهل التأهيل الكافي للعمل المنتج في الوظيفة.

ـ فئة مهنية وهم الذين تأهلوا في مدارس مهنية، إلا أن تأهيلهم غير كاف لمتطلبات الحرفة التي يرغبون في العمل بها.

سادساً: التعليم المستمر

من عيوب التعليم التقليدي اقتصاره على فئة من الشباب المنخرطين في صفوف الدراسة المنتظمة للحصول على الشهادة من أجل الوظيفة التي تكون

بيروقراطية في معظمها، مثل المجالات الاقتصادية أو الاجتماعية أو الإدارية أو السياسية. ومن تلك الملاحظة يجب أن يشمل التعليم جميع فئات المجتمع من خلال تكريس مبدأ التعليم المستمر، وهو الذي يقضي على الأمية، كما يقضي على عدم التكيف والإخفاق في الدراسة النظامية، مع توسيع القاعدة الطلابية على الشرائح الاجتماعية والمناطق الجغرافية كافة.

ولا يتوقف الفرد عن التعليم واكتساب المعرفة وفق عدة طرق متاحة تعطيه خيارات متعددة من الزمن والمكان وفقاً لظروف سنه ومشاغله. فالتعليم متاح للجميع، وهذه قاعدة ذهبية في التربية والتعليم. والانقطاع عن الدراسة النظامية لا يعني حرمان الإنسان من الاطلاع والبحث والإلمام بقضايا العلم والثقافة. وليست الشهادة وحدها المحدد لاكتساب المعرفة، فهناك من كانوا يؤهلون ويؤطرون حملة الماجستير والدكتوراه وهم لم يحملوا شهادات. فحرمانهم أو عدم توفر الفرصة لانتظامهم في الدراسة لم يشكل عائقاً أمام حصولهم على المعرفة الواسعة، حيث أصبحوا جامعات بأنفسهم.

سابعاً: الامتحانات

إن نظام التعليم عموماً ـ وليست المملكة العربية السعودية استثناء ـ يعتمد على التقييم والانتقاء. إنه يعطي فرصة النجاح لمن لديه ملكة الحفظ وقوة الذاكرة فقط. إنه يكافئ «آلات التسجيل» من دون اعتبار للفهم والاستيعاب أو حتى التدبر. فهو يعطي الامتياز لحفظة النصوص والمتون دون فهم الواقع والسياقي الظرفي والزمني والتأثير.

إن الامتحانات المعمول بها الآن لا تعتبر المقياس الحقيقي لرصد درجة الفهم والاستيعاب، والقدرة على التفكير السليم والمنطقي والاستنباط، وحسن التصرف والذكاء والابتكار، والقابليات، والتأهل الفطري الذي يساعد على حسن التصرف في الحياة في الظروف المتغيرة. إن الإبداع أو الابتكار أو المخالفة لمنهج المدرس أو الوزارة طرق موصلة إلى الرسوب في عرف التعليم الروتيني النظامي.

إن الامتحانات ـ وهي المقياس الوحيد لنظام التعليم ـ تمنح النجاح للطالب الجبان والغبي الذي ينقاد بعقله وحسه لتلقين المدرس، ولا يتحرر

من الكتاب، وتعاقب من يتحرر من البيئة المدرسية، ويطلق العنان لقدراته الفكرية، ويجرؤ على فض الاشتباك من الكتاب ومن المقرر الدراسي.

ويورد الدكتور حمد السلوم، الملحق التعليمي السعودي بالولايات المتحدة، سمات الامتحان بالمملكة العربية السعودية على هذا النحو:

ـ «الاعتماد الكبير على اختبار الذاكرة مع إهمال غيرها من القدرات والقابليات.

ـ افتقار كثير من المعلمين لمعرفة تصميم وتحليل وتفسير نتائج الامتحانات.

ـ عدم الاستفادة من نتائج الاختبارات في توجيه الطلاب.

ـ عدم تغطية الاختبارات لأهداف التدريس المعرفية والوجدانية.

ـ عدم استخدام أنواع حديثة من الاختبارات كاختبار المنزل والكتاب المفتوح وإنجاز المشاريع.

ـ عدم استخدام ناتج الاختبارات في تطوير المناهج.

ـ عدم استخدام سبل متطورة في التقييم.

ـ عدم توفر الكفاءة الفنية لواضعي الأسئلة.

ـ عدم استخدام الوسائل التقنية الحديثة في إعداد وتصحيح وتحليل الاختبارات.

ـ لا تكشف الاختبارات الحالية عن خاصية قوة أو ضعف الخلل في المناهج والتدريس.

وقد أكد السلوم أن هذه الاختبارات التقليدية أفرزت بعض الظواهر السلبية مثل التلقين، وكثرة الملحقات، وشيوع ظاهرة الدروس الخصوصية، وانتشار الغش داخل الاختبارات»[٩].

ولا تنفرد المملكة العربية السعودية بخصوصية مشكلات التعليم، بل

---

(٩) ابن صنيتان، **استراتيجية لمستقبل التربية والتعليم**، ص ١٤٢.

Twitter: @abdullah_1395

هي إحدى الحلقات في سلسلة الدول النامية والدول العربية بوجه خاص في ما يتعلق بمشكلات التعليم. فالمفكر العربي يلاحظ استمرار فجوة متعددة الأشكال والمستويات بين العلم والعمل، أي بين المعرفة المجردة والنشاط اليدوي، بين الاستهلاك والإنتاج، وهي فجوة موروثة وعميقة تخترق المجتمع من الأعلى إلى الأسفل فتخلق ذهنية عمومية غير ملائمة لتأسيس ونشر العلم الفيزيائي المبني على الفرضية والتجربة، والذي يتطلب نوعاً من الخيال التجريبي.

ثامناً: المرأة والعمل (التربية الأسرية)

إن الملاحظة السابقة بأن الأنثى أكثر تفوقاً من الذكر في التعليم، وأن إقبال الفتيات عليه يفوق إقبال الفتيان لا تنعكس على المرأة في سوق العمل في المجتمع السعودي، إذ إن مشاركة الفتاة السعودية في سوق العمل لا تتجاوز ٨ في المئة. ولا ضير في ذلك إن استثمرت المرأة السعودية رصيدها المعرفي في صالح الأسرة من زوج وأولاد تربوياً واقتصادياً واجتماعياً ونفسياً. فإذا تحقق النجاح في ذلك فإن فوائد ذلك النجاح اجتماعياً واقتصادياً ونفسياً يعود على الأسرة أكثر بكثير من الأجر لقاء الخروج إلى سوق العمل.

وإذا لم تستثمر المرأة السعودية معرفتها العلمية في العمل، أو في تربية الأسرة، وتدبير المنزل اقتصادياً، وتدبير سكرتارية الزوج إذا كان من كبار رجال الأعمال أو المستويات الرسمية كتهيئة الجو الخلاق داخل المنزل أو القيام بدلاً منه بالعلاقات الاجتماعية وصلة الرحم، وذلك لدفعه إلى النجاح، فإن البديل الجاهز لكل ذلك هو التلفزيون، والجوال، والأسواق الاستهلاكية، وترك المهمات المنزلية لمدبرة المنزل، بينما تتفرغ هي للسمنة، ومن ثم المرض.

تاسعاً: التعليم والتقانة

أتت التقانة بفوائد كثيرة للجنس البشري، وفجرت طاقات الإنسان الكامنة، بل أتت بما لا يستطيع الإتيان به العلم التقليدي، على الرغم مما يثيره البعض من محاذير التقانة التي أصبحت عاجزة عن إيقاف تقدم المعرفة

Twitter: @abdullah_1395

التقنية واطرادها. فالتقانة ساعدت على انتشار المعرفة من خلال التعليم الذاتي والتعلم عن بعد والتعليم المستمر الشامل وتوصيل المعرفة لجميع الناس على مختلف مستوياتهم، فذلك كله من فوائد المعرفة التكنولوجية.

وقد ساعدت ثورة المعلومات على التقدم المذهل، كالتقدم في وسائل الإعلام من تلفزة وانترنت وكذلك الفيديو والكاسيت، ووسائل تكنولوجية أخرى تزخر بمختلف المعلومات، ويمكن الوصول إليها بسهولة وإدخالها إلى كل منزل أو عمل.

وسع ذلك كله إمكانات التعليم الذاتي، وذلل طرق اكتساب المعرفة من غير مجال المدرسة أو المنهج الصفي، من دون التقليل من أهمية المدرسة.

إن كل ما يعتمد على التفكير والتأمل تزادد أهميته اليوم، وخصوصاً التعليم خارج نطاق المدرسة، والذي تعتبر التقانة إحدى أدواته المهمة.

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

الفصل الرابع

المحدد الاجتماعي والاقتصادي
للمجتمع السعودي

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

تتطلب دراسة المحددات تحديد قدرتها على تشكيل المجتمع الذي فيه نشأت وتكونت، وقدرة تأثيرها في النسق العلائقي. وذلك ما يدفع الباحث إلى محاولة تحديد ملامح هذه المحددات على الرغم من صعوبة المهمة في مجتمع كالمجتمع السعودي الذي إلى جانب كونه يشبه إلى قدر المجتمعات الخليجية الأخرى التي شهدت تحولات النفط، فإنه ينفرد ببعض الخصوصيات التاريخية والآنية التي سنذكرها لاحقاً. ويعد هذا الأمر على قدرٍ من الصعوبة لكون:

ـ أدوات التحليل، وخصوصاً المفاهيم، قد نشأت في بيئة غربية مغايرة للمجتمع السعودي، إنها فضاء عرف أساليب إنتاج لم يعرفها هذا الأخير.

ـ تتداخل في المجتمع السعودي أساليب إنتاج متعددة فقدت في حد ذاتها «وضوحها»، فلا الأسلوب الرأسمالي هو رأسمالي، ولا غيره من الأساليب ظلت كما هي.

ـ التحولات السّريعة والتغيرات العميقة في وسائل الإنتاج قد حالت الشكيلة دون الاستقرار دون إمكانية التعرف إلى ملامحها.

ـ الحراك الاجتماعي يمرّ أحياناً بفترات تسارع، ما حال دون ثبات أدنى للفئات التي سرعان ما تتسلق السلم أو تنحدر منه.

ـ ظاهرة العمالة المستوردة والتي تناهز قوة العمل السعودي أعاقت فرزاً طبقياً[1] حاداً حقيقياً بمقتضاه تفرز الطبقات فرزاً صريحاً.

ـ الريع النفطي الهائل قد حال دون ظهور صراع طبقي حقيقي،

---

(١) محمود عبد الفضيل، **التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية في الوطن العربي: دراسة تحليلية لأهم التطورات والإتجاهات خلال الفترة ١٩٤٥ ـ ١٩٨٥** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨)، ص ١٦١ و١٦٦.

Twitter: @abdullah_1395

فظلل الوعي[٢]، ما جعل الطبقات هلامية غير واضحة المعالم.

ـ غياب الكثير من الدراسات الميدانية والإحصائيات الدقيقة والبحوث الحديثة جعل الأمر أكثر صعوبة.

أولاً: مفهوم التحولات الاقتصادية الاجتماعية

تدل التكوينات الاجتماعية الاقتصادية إلى البناء العمودي الذي تتراتب فيه أصناف مختلفة من البنيات الصغرى، والتي ينتمي إليها الناس لاعتبارات اقتصادية، وذلك في المقام الأول، ثم لاعتبارات أخرى سياسية وثقافية. وهي تتميز بالحركية عكس بعض البنيات الأخرى التي تكون جامدة ومتوارثة. فالحراك الاجتماعي:

ـ على الرغم من اختلاف إيقاعه من تشكيلة إلى أخرى ـ خاصيته البارزة هو افتقاره الصفاء والوضوح، لذلك فإن استعماله يكون عادة عند دراسة مجتمعات العالم الثالث المتخلفة ـ وتنعت في الكثير من الأدبيات الاجتماعية بالمجتمعات التابعة ـ التي لم تشهد الثورة الصناعية ونظام الإنتاج الرأسمالي[٣].

ويقول محمود عبد الفضيل في دراسته حول التشكيلات الاجتماعية في الوطن العربي معرفاً التشكيلة الاجتماعية الاقتصادية: «التكوينة الاجتماعية الاقتصادية هو مفهوم أوسع من نمط الإنتاج، ينهض على التجسيد الملموس للواقع التاريخي العيني حيث تحوي التكوينة الاجتماعية الاقتصادية بين جنباتها بعض الأوضاع التاريخية. ويهيمن نمط إنتاج معين وتصبح الأنماط الأخرى مجرد انتقالية أو ثانوية. وفي أحوال أخرى، يتعايش أكثر من نمط إنتاج ـ على المستوى نفسه من الأهمية ـ في إطار التكوينة الاجتماعية الاقتصادية لفترات من الزمن قد تطول أو تقصر»[٤].

---

(٢) سعد الدين إبراهيم، **النظام الاجتماعي العربي الجديد: دراسة عن الآثار الاجتماعية للثروة النفطية** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢)، ص ٢٠ ـ ٢١.

(٣) انظر: أمين، **التطور اللامتكافئ: دراسة في التشكيلات الاجتماعية للرأسمالية المحيطية**، ترجمة برهان غليون، سلسلة السياسة والمجتمع (بيروت: دار الطليعة، [١٩٨٠]).

(٤) انظر: عبد الفضيل، **التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية في الوطن العربي: دراسة تحليلية لأهم التطورات والإتجاهات خلال الفترة ١٩٤٥ ـ ١٩٨٥**.

Twitter: @abdullah_1395

فالتشكيلة الاجتماعية الاقتصادية توحي ببنيان منتظم يمكن ملاحظته لثبات ملامحه النسبية. غير أن هذا الأمر يجد ـ إذا ما أردنا تطبيقه على المجتمع السعودي ـ بعض الصعوبات التي ذكرناها آنفاً، والمتعلقة بالتداخل الحادث في أنماط الإنتاج إن جاز لي أن أتحدث عن أنماط إنتاج.

فحتى نمط الإنتاج السائد خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ـ وهي فترة تاريخية قريبة نسبياً ـ يختلف الدارسون في تسميته ونعته. ففي حين يرى سمير أمين أن نمط الإنتاج السائد في الجزيرة كان خراجياً[٥] وهو ما يتفق معه فيه خلدون النقيب[٦] فإن باحثاً مثل محمد السيد سعيد وغيره يسمونه نمط الإنتاج الآسيوي معتمدين على هيمنة الدولة المركزية واستبدادها، في حين يعتقد الجابري أنه نمط الإنتاج البدوي، مؤكداً دور القبيلة والرعي في تحديد سمات هذا الأسلوب وآلياته واشتغاله واستمراره.

غير أني أتساءل عن المعايير والأسس التي سأعتمد عليها في تحديد المكونات الاجتماعية الاقتصادية السعودية.

ثانياً: محددات التحولات الاجتماعية الاقتصادية

قبل تحديد مكونات التشكيلة الاجتماعية علي أن أعمد إلى بيان العناصر التي سأعتمدها في ما أبتغيه. ولعل هذه المحددات يمكن اختصارها في ما يلي:

١ ـ نمط الإنتاج

وأقصد به الأنماط التي سادت في الجزيرة العربية، وخصوصاً في المجال الجغرافي للمملكة العربية السعودية قبل اكتشاف النفط. وأعتقد أنه ـ وتجنباً للشطط والتعسف على واقع الجزيرة العربية ـ يستبعد أن يكون نمط الإنتاج الإقطاعي أو الخراجي أو الآسيوي قد ساد لغياب أسباب عدة، منها: حيازة الأقطاعات الكبيرة، وضعف الإنتاج الزراعي، وغياب الدولة المركزية حتى في أقصى تسلط الإمارات التي والت الأتراك، ونزعة القبائل

---

(٥) انظر: أمين، المصدر نفسه.

(٦) خلدون حسن النقيب، «بناء المجتمع العربي: بعض الفروض البحثية،» **المستقبل العربي**، السنة ٨، العدد ٧٩ (أيلول/ سبتمبر ١٩٨٥)، ص ١٩.

Twitter: @abdullah_1395

الاستقلالية، ورفضها الخضوع للجباية. .كل ذلك يدحض الإقرار والتسليم بنمط إنتاج إقطاعي. فالإنتاج السائد في الجزيرة آنذاك كان بالأساس رعوياً، إنه اقتصاد الكفاف الذي لم يكن بإمكانه مراكمة فائض. ولا يعني هذا غياب الزراعة أو الحرف داخل الحواضر النجدية، أو صيد اللؤلؤ على الموانئ الساحلية وخدمة الحجاج وتجارة القوافل في الحجاز.

لكل هذه التحفظات فإني أميل إلى اعتبار أن نمط الإنتاج لم يكن واحداً، بل لقد سادت أنماط صغرى. ومع ذلك فإنني أرجح أن يكون النمط السائد أقرب للتسمية بنمط الإنتاج الغزوي «القبلي»، فالقبائل التي استوطنت الجزيرة العربية كانت إلى وقت متأخر تعتمد الرعي، وتترحل بحثاً عن الكلأ. وكانت تعمد بين الفينة والأخرى إلى الغزو، فالرمح كان وسيلة للرزق عندها، بالإضافة إلى كونه وسيلة للدفاع.

الجماعات المتنقلة وكذلك غيرها من الجماعات البدوية، وحتى المقيمة منها، كانت جماعات مسلحة باستمرار، وأرزاقها في رماحها. لا تفرّق بين ما يمكن أن تمنحه الأرض بسخاء وما يمكن أن تسلمه الأيدي المغلوبة على أمرها. ومن هنا كان السلاح وما يتصل به من قوة مادية وشجاعة وقدرة على ركوب الأخطار عنصراً أساسياً في الإنتاج. ومن هنا أيضاً ذلك الطابع الفريد الذي يتسم به إنتاج هذه الجماعات البدوية المتنقلة؛ ونعني به طابع الغزو. فأنماط الإنتاج في الجزيرة العربية إلى فترة اكتشاف النفط كانت قد عرفت إلى جانب نمط إنتاج الغزو ـ وهي السمة البالغة في المجتمع السعودي ـ نمطين آخرين صغيرين:

الأول: نمط الإنتاج المشاعي القبلي، أو اقتصاد الرعي المستند أساساً إلى قطعان الماشية وبعض الإنتاج الزراعي الضعيف المردود وغير المستقر.

الثاني: نمط الإنتاج الزراعي السابق على نمط الإنتاج الرأسمالي، والمنتشر في الجزيرة العربية منذ مئات السنين. والقائم على أساس الفلاّح الحر غير المستعبد أو القنّ، وهو منحصر في بعض المناطق الزراعية الصغرى. ويختلف عما عرفته بادية الشام أو العراق من بروز ملكيات عقارية كبيرة تدرجت في القرن التاسع عشر من المشاع أو السلطانية أو الأميرية إلى الملكيات الخاصة التي يسيطر عليها كبار الملاك منذ صدور قوانين التملك في أواخر المرحلة العثمانية ومطلع القرن العشرين. ولم يساهم البدو في ولادة هذا

Twitter: @abdullah_1395

النمط من الإنتاج أو تطويره، بل ألحقوا به بعد إجبارهم على الاستقرار[٧].

٢ ـ الطبقة

على الرغم من الجدل النظري الجاري حول مفهوم الطبقة ومحدداتها وأسس فرزها هذا على المستوى النظري، وما إذا كان ماركس قد تحدث عن ثلاث طبقات للمجتمع الرأسمالي أم سبع، وما إذا كان علينا أن نعيد تحديد خارطة الطبقات في ضوء المستجدات الحاصلة، فإني سأعرف الطبقة باعتبارها مجموعة كبيرة من الناس داخل نظام طبقي معين تتميز بمركز اجتماعي واقتصادي واحد بالنسبة إلى الفئات الأخرى في المجتمع. ويشترط ماركس أن تكون الطبقة واعية بذاتها حتى تتشكل، وذلك ما دفعه إلى عدم اعتبار الفلاحين طبقة مثلاً. وإذا ما أردنا اعتماد مستويات تحديد «الطبقة» على صعوبة الاطمئنان إليها في تحليل الحالة السعودية فإنه لا يمكن أن نقترب إلا إلى تحليلات نيوكوس بولنتزاس الذي يدمج مستويات عدة، اقتصادية وسياسية وأيديولوجية. ويقول في هذا الغرض: «إن الطبقات الاجتماعية هي انعكاس ونتاج لمجموع الأبنية الاجتماعية ولعلاقاتها، وهي بالتحديد:

ـ المستوى الاقتصادي.

ـ المستوى السياسي.

ـ المستوى الأيديولوجي.

ويمكنني أن أحدّد هوية طبقة اجتماعية معينة على المستوى الاقتصادي أو السياسي أو الأيديولوجي؛ أي أنه يمكن إذاً تحديدها بالنسبة لمستوى معين.

أما تعريف الطبقة باعتبارها كذلك وإدراك مفهومها فيعتمدان على مجموع المستويات التي تعتبر انعكاساً لها»[٨].

فالطبقات في المجتمع السعودي لا يمكن أن تعتمد على مجرّد العامل

---

(٧) انظر: أيوب صبري باشا، **مرآة جزيرة العرب**، ترجمة حنفي بن عيسى (الجزائر: الشركة الوطنية للتوزيع، ١٩٧٩)، ومحمد عابد الجابري، **فكر ابن خلدون، العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي**، ط ٦ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤)، ص ١٧٥.

(٨) نيوكوس بولنتزاس، **السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية** (بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٨٣)، ص ٦٨.

Twitter: @abdullah_1395

الاقتصادي لتحديدها نظراً إلى أهمية العامل السياسي والأيديولوجي كمدخل للثروة (الدخل) والوجاهة (المكانة).

ويحدد محمود عبد الفضيل تفاصيل هذه المستويات فيقول:

المستوى الاقتصادي: ويقصد به الموقع الذي تشغله الفئة الاجتماعية أو الطبقة في إطار مصفوفة علاقات الإنتاج القائمة، تلك التي تحّدد نمط العلاقات الإنتاجية والتوزيعية السائدة، وتالياً كل فئة من الناتج الاجتماعي.

المستوى السياسي: تتحدد الطبقات أيضاً بموقعها من النسق الكلي لعلاقات السلطة (علاقات القوى) في إطار التكوين الاجتماعي المحدد. فهناك طبقات حاكمة، وطبقات محكومة، وداخل الكتلة الحاكمة توجد طبقة أو شريحة مهيمنة.

المستوى الأيديولوجي: وأخيراً تتحدد الطبقات بمكانها في نسق العلاقات الطبقية الأيديولوجية، أي بدورها في ميدان الصراع الفكري والأيديولوجي. فالطبقات تنقسم إلى طبقات محافظة، وطبقات ذات رؤية تقدمية. ففي المجتمع السعودي المعاصر لا يمكن أن نعمد إلى تحليل طبقاته استناداً إلى العامل الاقتصادي فحسب على الرغم من أنه مهم وحاسم، بل لا بد أن نأخذ بعين الاعتبار العوامل الأخرى السياسية والأيديولوجية. فبناء الدولة السياسي أتاح الفرصة لظهور فئات جديدة استغلت فرص التنمية والاستقرار السياسي. وتدرجت هذه الفئات في مراتب عدّة، إذ يتحدّد موقع هؤلاء لا على قاعدة الانتساب المهني فحسب، بل على قاعدة تأكيدهم شرعية النظام السياسي، وتغذيته المستمرة بالأيديولوجيا اللازمة. لذلك فإن الاقتصار على العامل الاقتصادي من شأنه أن يضل الباحث.

٣ ـ السلطة السياسية

تحتل السلطة السياسية في الدول النامية أهمية كبيرة في تشكيل الهيكلية الاجتماعية الاقتصادية، ولا تمثل المملكة العربية السعودية استثناءً، وخصوصاً أن النخبة «الحاكمة» تستفيد من مصدرين كبيرين تكاد تستفرد بالجزء الأكبر منهما؛ المصدر **الأول**: الريع النفطي، وهو ما يتيح «للنخبة الحاكمة» تشكيل حزام فئات تحيط بها. المصدر **الثاني**: هو معنوي، حيث

Twitter: @abdullah_1395

تستفيد السلطة السياسية من الأيديولوجيا السلفية ممثلة بدعم التيار السلفي المتمثل في الجهاز الديني (الحركة الوهابية). ولا يمكن ـ بحسب اعتقادي ـ أن أفصل الاقتصادي عن السياسي في حالة كالحالة السعودية حيث تكون مصالح الفئات الاقتصادية ذات صلة وثيقة بدوائر القرار السياسي، كما أن العكس صحيح، فالسلطة السياسية تحتاج إلى ممارسات طبقية وعلاقات طبقية حتى تتحكم في الصراع الاجتماعي ولو كان خافتاً ضعيفاً.

٤ ـ الأيديولوجيا

وتفيد في الحالة السعودية توافق المذهب الحنبلي (السني) مع السلطة السياسية والذي عاضدته الحركة الإصلاحية السلفية باعتبارها اجتهاداً داخل التراث السني، والذي تعترض الأوساط العلمية الدينية على وصفها بالحركة الوهابية، أو «المذهب الوهابي».

وكنت قد تعرضت إلى التحالف الذي تمّ بين الأسرة السعودية (العائلة) والحركة الوهابية (الدعوة الدينية)، وتوسعت في التطرق إلى أهم المبادئ لهذه الحركة، وقد أوضحت معالمها وسماتها.

ثالثاً: طبقات المجتمع السعودي

أشرت في ما سبق إلى التحفظ الكبير الذي أبديته تجاه استعمالي لمفهوم الطبقة للأسباب التي ذكرتها، والمتعلقة أساساً بهلامية تكونها، ما يجعل الحدود غير واضحة، إلى جانب انعدام الوعي الكافي الذي يحمله أفرادها، من دون أن أنسى غياب الدراسات والإحصائيات الدقيقة لما يمكن نعته بالبنية الطبقية للمجتمع السعودي. ولذلك سأتحدث مجازاً عن ثلاث طبقات تأوي كل واحدة داخلها فئات متعددة تتماثل إلى حدّ ما من حيث الدخل ومصادره وأسلوب الحياة والولاء السياسيّ.

١ ـ الطبقة العليا

تتكوّن هذه الطبقة التي تتصدر التشكيلة الاقتصادية الاجتماعية السعودية من فئات عدة:

أ ـ الفئة الحاكمة: والتي يجوز أن أعتبرها قسماً مستقلاً يكوّن ما يطلق

Twitter: @abdullah_1395

عليه بالطبقة الحاكمة شريطة أن تفهم الطبقة لا فهماً اقتصادياً خالصاً بل فهماً سياسياً أيضاً. وهي متكونة من الأسرة المالكة السعودية والوزراء وكبار رجال الدولة من عسكريين ومدنيين.

ب ـ الفئة الرأسمالية: وهي فئة تمتلك رؤوس أموال كبيرة توظفها في البنوك الوطنية أو الخارجية، وتستثمر أموالها في شتى أنواع المصارف المالية من ائتمان وقروض وأسهم وسندات. وما يستدعي ذلك من مضاربات ومقاولات... إلخ. ولا يمكن مقارنتها بطبقة الرأسمالية الغربية لغياب النشاط الصناعي كإنتاج، وغياب المعتقدات الفكرية الرأسمالية كأيديولوجيا.

ج ـ الفئة المشاريعية: وهو ما يسميه البعض بـ «البرجوازية السعودية»، «فلقد دفعت مداخيل النفط إلى أن تتكوّن في المجتمع السعودي برجوازية (مشاريعيون) تعيش على أعمال الوكالات والسمسرة والعمولات، والمضاربات المالية والعقارية والاستثمار أو المضاربة بالأسهم التي صاحبت القفزة الاقتصادية خلال الحقبة النفطية. وفي نظر الشركات المتعددة الجنسية والشركات الغربية عموماً فهم شركاء محليون ووكلاء ووسطاء (الكومبرادور). وهذه الفئات قد تستفيد من العولمة القادمة التي تدعو إلى تصفية القطاع العام، ووقف برنامج المساعدات والدعم الحكومي لأسعار بعض السلع التي يستفيد منها ذوو الدخل المحدود والفئات المحرومة من الدخل الشهري أساساً، والتي تعنى بها سياسات الرعاية الاجتماعية. وما الخصخصة التي بدأت تأخذ بها المملكة العربية السعودية ـ كغيرها من الدول ـ إلا فرصة للنخب البيروقراطية والسياسية الذين أصبحوا وكلاء للشركات العابرة الحدود، أو للمشاركين والمساهمين الكبار للشركات الخوصصة.

إن المستفيد الأكبر من القطاع الخاص في عصر العولمة هم كبار البيروقراطيين وكبار النخبة السياسية الذين يزيدون مراكز نفوذهم في السلطة بمواقع متقدمة في عالم الاقتصاد. وبهذا يتسنى لهم الاستحواذ على المجتمع بكافة شرائحه، وهذا ما أدى إلى تشجيع سياسات الخصخصة القاضية بتحويل مؤسسات القطاع العام المربحة إلى القطاع الخاص، وتحويل الخدمات العامة إلى مقاولات ليقوم بها القطاع الخاص. وكون المجتمع السعودي يعاني البطالة ـ من دون مبرر وجيه ـ فإن هذا التحول يزيد من البطالة التي تمتد حتى إلى الطبقة الوسطى التي هي مصدر الولاء السياسي.

Twitter: @abdullah_1395

وهذا ما جعل بعض الاجتهادات المشايخية تقاوم العولمة، ولكن من دون برنامج محدد أو رؤية واضحة، اللهم إلا العاطفة الدينية والكره لمصدر العولمة (الغرب). وكون المشايخ لم يقدموا بديلاً للعولمة يقنع رجال الاقتصاد والساسة من المسلمين فإن العولمة سائرة في طريقها من دون عوائق تذكر. وقد أصبحت العولمة أمراً واقعاً لا مفر منه، فإن الاجتهادات المشايخية والثقافية لم تهتد إلى العمل على قيام المؤسسات المدينية للمجتمع التي تضبط المسار الاقتصادي والاستثماري، والحيلولة دون تشريعات للمصارف للمال العام تؤدي في النهاية إلى صبها في جيوب القلة من المجتمع.

إن التخصيص يعطي فرصة كبرى للنخبة بأن تضيف إلى سلطتها السياسية والبيروقراطية سلطة مالية من خلال تملكها للأسهم في الشركات، كما ذكرت سابقاً. وبذلك تزيد من فرصتها من المال العام فرصاً أخرى في القطاع الخاص الذي يتحول من ملكية المال العام إلى ملكية المال الخاص، «رأسمالية» أي تراكم المال العام والخاص، فتردف وضعها السياسي بوضع اقتصادي آخر. وهذا الأمر مشهود وملموس، حيث أصبحت قناعة معظم الناس بأن كبار النخبة البيروقراطية قد تبوأوا موطناً لهم في الغرف التجارية وشركات القطاع الخاص من خلال أسمائهم بعد التقاعد، أو أسماء أبنائهم، أو أسماء زوجاتهم، أو عن طريق شركاء ووكلاء. وهذه الشركات أو المؤسسات قد تخلقت من خلال وجود أصحابها أو المشاركين والمساهمين فيها من خلال مواقعهم في البيروقراطية.

وكون السوق السعودية تعتمد اعتماداً كلياً على الفرص المقدمة من الدوائر الحكومية فإن يد البيروقراطية تمتد إلى السوق بعمق عن طريق المناقصات والممارسات أو العقود المفضلة التي ترسو على شخص معين مباشرة ومن دون مناقصة أو ممارسة أو عن طريق (Cost Plus) أو أي شكل من أشكال الرقابة الإدارية، فضلاً عن مرونة إجراء التراخيص، أو سهولة القروض والمساعدات، وكذلك الاستيراد والتصدير، ومن جهة أخرى صعوبة التراخيص والقروض والتسهيلات لمن لا يملك نفوذاً سياسياً أو بيروقراطياً. وهذا ما يجعل شريحة كبيرة إن لم يكن جميعها تخضع دائماً للاستجداء والتملق والمجاملة مع قبول الشراكة مبدئياً من دون رأس مال مع أصحاب القرار والمتنفذين في البيروقراطية.

إن كثيراً من الفرص، إن لم يكن كلها، تتم بهذه الطريقة، بل لقد امتد الأمر حتى إلى صغار البيروقراطيين العاملين في مكاتب رموز النخب كمدراء المكاتب والموظفين والحاشية العاملة في دوائر النخبة. ومن يريد من البرجوازيين الجدد أو القدماء (البازار) أن يتمرد على البيروقراطية فإن ليّ ذراعه سيتم عند أول إجراء بيروقراطي، ما يجعل إفلاسه متوقعاً بين الحين والآخر حتى يضطر مكرهاً إلى تمرير رغبات صاحبة الجلالة (البيروقراطية). وقد غدت هذه القناعة تلازم جل البرجوازية وكل من يعمل في السوق السعودية. وتضطرهم كرهاً إما إلى مشاركة النخبة أو الموظفين العاملين في مكاتب النخبة، أو الانسحاب من السوق. وقد يشتم أحدهم رائحة الظاهرة من بعيد فيجفل من السوق نهائياً، أو يبحث عن طرق لا توصله إلى هؤلاء ولا يجدها، فيبحث عن بديل لها في الدين، أو يكون ضحية لليأس والقنوط والأمراض النفسية. وإفلاس مثل هذه الشرائح لا يوجع النظام حتى وإن كانوا يشغلون مئات العمال.

العمالة في السعودية تكاد تكون في مجملها من العمالة غير السعودية، إذ لو كانوا سعوديين فتسريحهم يؤدي إلى ضرر كبير للاقتصاد الوطني، ويسبب مخاطر اجتماعية وسياسية وأمنية تؤثر في استقرار الكيان، كما لو أفلست الخطوط السعودية أو شركة الاتصالات أو شركة الكهرباء وغيرها، ولهذا فإن الحكومة واعية ومتيقظة للضرر المتحقق من جراء إخفاق مثل هذه الشركات. وبهذا الوعي تكون الحكومة ضامنة ربحية مثل هذه الشركات، كما تطلق يدها للابتزاز في رفع الأسعار والرسوم وقطع الخدمة عن المشترك من دون الاعتماد على حكم قضائي وقانوني.

ويثير البعض افتقار هذه الفئة أو «الطبقة الصغرى» لأيديولوجية البرجوازية الأوروبية الصناعية، أي الفكر الليبرالي المتأثر بالفلسفة الأوروبية. ويمكن لهذه الفئة أن تنتقل[٩] إلى فئة الرأسماليين إذا استنبطت حيل التعرّف إلى كبار الشخصيات المتنفذة من أصحاب القرار السياسي والبيروقراطي في تدبر أمر الاعتمادات والمناقصات والمنح العقارية والنقدية أحياناً. فللتدرج مسالك يضمنها النجاح في نسج خيوط علاقات مشبوهة وغير مشبوهة مع أكبر المتنفذين من الساسة والبيروقراطيين.

(٩) انظر: إبراهيم، **النظام الاجتماعي العربي الجديد: دراسة عن الآثار الاجتماعية للثروة النفطية.**

Twitter: @abdullah_1395

وينعت سعد الدين إبراهيم هذه الفئة بالرأسمالية الهلامية. فالمنظم السعودي الجديد (New Saudi Entepreneur) ظاهرة جديدة، وكان لدى معظم البلدان النفطية، وبالدرجة الأولى المملكة العربية السعودية والكويت، طبقة تجارية تقليدية تعادل تجار البازار الإيراني. والمنظمون السعوديون الجدد ذوو طابع دولي، فهم يتعاملون مع الحكومات والشركات في ظل الرأسمالية الغربية الحديثة، وليس ضمن فئات التجار التقليديين. فهؤلاء المنظمون السعوديون الجدد ليسوا منتجين مثمرين، كما أنهم ليسوا طفيليين تماماً، ولكنهم قد يقعون في مكان ما بين الطرفين. وعلى العكس من النظير الغربي التقليدي، لا يتحمل المنظم السعودي أي مخاطرة، ويكاد لا يفقد شيئاً من رأسماله. والواقع أن بإمكانه القيام بدوره من دون قدر كبير من رأس المال، أو حتى بلا رأس مال في البداية، إلا أنه مع ذلك يضمن الربح لنفسه دائماً[١٠].

٢ ـ الطبقة الوسطى

قد تكون هذه الطبقة من أهم الطبقات التي يتكون منها المجتمع السعودي الحديث، نظراً لاتساعها وديناميكية الحراك الاجتماعي الصاعد والنازل لديها، وكثرة فئاتها والرهانات السياسية والاجتماعية التي تحيط بها. والطبقة الوسطى محل اهتمام كل الأنظمة والمؤسسات الاجتماعية في العالم، إذ كثر الحديث في الأوساط السياسية والإعلامية، وذلك مما لم يسبق له مثيل، عن ضرورة الاعتناء بهذه الطبقة لوزنها الكبير في الاستقرار الاجتماعي والسياسي. وبالنسبة إلى الطبقة الوسطى في المجتمع السعودي يمكن أن نذكر ما نراه أهم فئاتها:

أ ـ برجوازية المنظمين: إن المضاربات المالية والعقارية التي صاحبت القفزة الاقتصادية خلال الحقبة النفطية قد أبرزت سريعاً برجوازية يجوز لي أن أدعوها طبقة. وأنا هنا أتحدث عن الطبقة مجازاً في المجتمع السعودي، لأنه لا يوجد في هذه الطبقة البرجوازية السعودية إلا ما يتعلق بالناحية المادية. أما التمدن في نمط وأسلوب الحياة والأفكار التي تعتبر من مشمولات الطبقة البرجوازية في أوروبا فلا ينطبق على البرجوازية السعودية كما نبهنا سابقاً.

ويتحدد عادة مسار صعود البرجوازية إلى فئة الرأسمالية مثلاً بالتدريج

(١٠) المصدر نفسه، ص ٢٤.

Twitter: @abdullah_1395

من خلال التعرف إلى شخصيات من أصحاب القرار البيروقراطي في الاعتمادات والمناقصات والممارسات والعطاء المباشر. فيتم الاتصال بشكل تدريجي من خلال نسج خيوط العلاقة مع أشهر المنفذين البيروقراطيين.

كما أن برجوازية المهندسين، والأطباء، والمحاسبين، والمحامين الشرعيين، والضباط، وموظفي جهاز الدولة المدني، وأصحاب السوبر ماركات والبقالات والأسواق المركزية وأسواق محطات البنزين ومراكز تجمع الورش والمصانع الخفيفة والمسالخ والمطاعم والمطابخ والدكاكين الحرفية كالخياطة والحلاقة وغيرها، جميع هؤلاء أصبحوا يمثلون طبقة.

فالنفط ومداخيله، وبالتحديد ابتداء من الخطة الخمسية الأولى للمملكة (عام ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) أوجد طبقة لا نستطيع أن نصفها بالتجار، ولكن نستطيع أن نستعير لها اسم المنظم السعودي الجديد، لأن هذه الفئة القادمة تتعامل مع الحكومة في أمور المناقصات والتعهدات ومع الشركات المتعددة الجنسية. وهم وكلاء ومتعهدون نستطيع أن نقسمهم بدورهم إلى ثلاث فئات:

الفئة الأولى: هي الفئة المنظمة التي تعاملت مع آرامكو وبتحريض من المهندسين الأمريكيين، حيث كان هؤلاء عمالاً لشركة آرامكو. وشركة آرامكو تحتاج إلى مقاولين كثر لتنفيذ الكثير من أعمالها. وكون المهندسين الأمريكيين بواسع خبرتهم ودقيق معرفتهم يعرفون مستقبل نجاح المنظمين الجدد، لذا تم الإيعاز لمن تربطهم بهم صلات شخصية من هؤلاء العمال السعوديين في شركة آرامكو، والذين يتوقعون منهم الفائدة والنجاح أن يستقيلوا وينشئوا مؤسسات، ومن ثم يتقدمون لآرامكو برغبة تنفيذ عقود ومشاريع. وقد أصبحوا من الرواد في مثل هذه الأعمال، ولا يزالون حتى الآن يتصدرون تلك الفئة المنظمة.

الفئة الثانية: هم أولئك المنظمون الذين تعاملوا مع البيروقراطية الحكومية خلال الخطط الخمسية المتتابعة. والخطط الأولى فيها صاحبها طفرة اقتصادية وكم هائل من المشاريع الحكومية الكثيرة، تميز بعضها بالتسرع والاستعجال. هذه الخطط استلزمت الحاجة إلى منظمين يتعاملون في مجالات الاستيراد والتصدير، والاستشارات في الهندسة ونظم المعلومات، والإدارة والصناعة وكيفية إيصال الخدمات الاجتماعية، ودراسة الجدوى

للقطاع العام والخاص، والمقاولات والتعهدات والاستقدام، وإنشاء الطرق والجسور والمباني العامة والخاصة والمشاريع الإسكانية الكبيرة التي تقوم ببنائها الحكومة وتقدمها للمواطنين بقروض، وبناء الفنادق والمستشفيات والمحلات الكبيرة (مجمعات وأسواق مركزية)، وبناء مدارس وجامعات.. وكل ما تتطلبه التنمية في بلد أراد أن ينهض من الصفر.

هؤلاء المنظمون السعوديون غلبت على الكثير منهم صفة الشراكة غير المعلنة مع مستفيدين من الأبواب الخلفية للنظام، وأحياناً القفز والسطو على أسوار النظام. فقد يتشارك مع أحد البيروقراطيين لإرساء عقود المشاريع والصيانة والاستيراد والتأمين المباشر وعقود التغذية وغيرها مما تتعامل معه مؤسسات الدولة. وقد يحصل مثلما حصل مع الفئة الأولى (شركة آرامكو) كأن يستقيل أحد مفردات البيروقراطية بعد الاتفاق مع الشركاء من الباطن الذين يعملون في البيروقراطية، إذ يصبح العضو المتفرغ للعمل الواجهة الرسمية، والأعضاء الآخرون هم المموّلين والداعمين والمندوبين الذين يجلبون الزبائن، إذا لم يكونوا هم الزبائن أنفسهم، بل هم أحد طرفي العقد. فالعضو المتفرغ يتعامل مع البيروقراطية بعقود تبلغ قيمتها مئات الملايين. وقد يكون كفيلاً لشركة أجنبية، أو يكون وسيطاً لشركة تتعامل بمئات الملايين.. وهكذا.

المنظمون المشاريعيون هم في الأصل منظمون اجتماعيون يرتبطون بأواصر عائلية أو مناطقية، أو روابط قوية من الصداقة أو المصلحة. وهم يحتلون مواقع مهمة وذات قرار في البيروقراطية وفي المجتمع كذلك. وهذه البيروقراطية هي المنفق الوحيد والرقيب الوحيد ـ وزيادة على ذلك فهي المخطط الوحيد والمالك للمعلومات لخطط المشاريع الخمسية المقبلة. فهم الإداريون والعالمون بالفرص المستقبلية، ويوجدون من خلال الخطط مشاريع على المقاس. وكبار البيروقراطية يأتون من مناطق معينة ومحددة، ومن عوائل من تلك المناطق نفسها، وهي محدودة كذلك.

وليس من قبيل الصدف أن تستحوذ الفئوية البيروقراطية على جل هذه المنافع، كما يتضح من الجدول رقم (٤ ـ ١) الذي يمثل من حصلوا على قروض تزيد قيمتها على عشرة ملايين ريال في عام واحد بحسب التوزيع المناطقي للمستفيدين.

Twitter: @abdullah_1395

الجدول رقم (٤ ـ ١)
عدد المستفيدين الذين حصلوا على قروض صناعية
خلال عام ١٤١٩هـ ([١٩٩٨م]) بحسب التوزيع المناطقي

المنطقة	عدد المستفيدين	النسبة المئوية	ملاحظات
نجد	٤٢	٤٥	
الحجاز	٣٢	٣٤	
القبائل	١١	١٢	
الجنوب	٠	٠	
المنطقة الشرقية	٨	٩	
مناطق أخرى	٠	٠	
المجموع	**٩٣**	**١٠٠**	

المصدر: قائمة التراخيص الصناعية الصادرة بموجب نظامي حماية وتشجيع الصناعات الوطنية واستثمار رأس المال الأجنبي خلال عام ١٤١٩هـ (الرياض: وزارة الصناعة والكهرباء، إدارة الإحصاء الصناعي، ١٤١٩هـ/ [١٩٩٨م]).

الفئة الثالثة: وهي الواسعة، وقد تجد فرصتها في ما اعتبرناه فئة المنظم الكفيل.

لقد أدت مداخيل النفط، والطفرة الاقتصادية المترتبة على هذه المداخيل، وكذلك عزم الحكومة السعودية إلى نقلة نوعية في التنمية سواء على صعيد الإنسان أم البنية التحتية. أدى هذا التوجه إلى إنفاق عام وكبير على التشييد والبناء ما استلزم الحاجة إلى عدد هائل في اليد العاملة. لم يكن المواطن السعودي قادراً على تلبية مثل تلك الأعمال، ما استوجب حتماً استقدام اليد العاملة من خارج المملكة سواء من الدول العربية أم غير العربية، ولمتغيرات وطنية وسياسية اجتماعية أدت في المحصلة إلى ظهور ما سمي بالكفيل.

وانسجاماً مع الاعتبار القانوني الجديد لنظام الكفيل تكون ما يمكن أن يطلق عليهم فئة الكفلاء، وهم في البدء تكوين اجتماعي جديد في البيئة الاجتماعية السعودية، ولكنهم الآن غدوا تكويناً مألوفاً وشائعاً وقد تكونوا اجتماعياً، شأنهم في ذلك شأن الفئات الأولى والثانية من المنظمين السعوديين

Twitter: @abdullah_1395

الذين تحدثنا عنهم في السابق. وهؤلاء يحققون دخلاً لا بأس به. وقد يكون نظام الكفيل هو النظام الديمقراطي الذي استفادت منه كافة الفئات الاجتماعية، ولم تستطع العائلية والإقليمية منفردة توجيهه لمصلحتها الخاصة. وقد استفادت الطبقات الدنيا أيما استفادة من نظام الكفيل، وإن اقتصر دورها «القانوني» على كفالة أفراد محدودين. أما العدد الكبير فيكون من نصيب الشركات أو الأفراد ذوي المكانة الاجتماعية التي تمثل قمة الهرم الاجتماعي في المجتمع. كذلك صاحب نظام الكفيل ما يعرف بالمنح، إذ يمنح شخص ألوف التأشيرات العمل أو الحج والعمرة. وهذه التأشيرات تباع في السوق السوداء، والمانح لهذه التأشيرات يعرف مسبقاً أن الممنوح ليس بحاجة إليهم، وأنه سيبيعها، فهو يمنحه التأشيرات لمساعدته مالياً أو مكافأة له على عمل أسداه.

وإذا كان نظام الكفيل قد حقق عائداً ريعياً للكفيل السعودي فإنه كذلك قد حقق عائداً مجزياً للعامل المستقدم ولبلده، إذ شجعت الدول العربية غير النفطية على هجرة القوى العاملة حتى أصبح ذلك فيها سياسة معلنة ومرغوبة. وهناك مبررات اقتصادية وسياسية لتصدير العمالة، ولا سيما الدول ذات الكثافة السكانية، ومن هذه المبررات:

ـ التخفيف من البطالة وتخفيض الضغط السكاني، والحصول على العائدات النفطية بشكل غير مباشر من خلال التحويلات لأجور العمالة وهي تحويلات تتزايد وذات قيم عالية جداً توفر نقداً أجنبياً بالعملة الصعبة لتصحيح العجز في ميزان المدفوعات. كما أن هذه التحويلات والمدفوعات تحرك معدل الادخار لدعم عملية تكوين رأس المال[١١]، فقد أصبح اجتذاب رؤوس الأموال من الخارج ومعالجة المشاكل الاقتصادية الوطنية جزءاً لا يتجزأ من تصدير العمالة. وبهذا يتأكد لي أن دول الخليج امتصت سلبيات الجوار من فائض للسكان وفائض للعمالة والبطالة، وصدرت إيجابيات تمثلت في التحويلات ورؤوس الأموال التي ساعدت على تقليص ديونها واستنبات التكنولوجيا. فالعديد من العمالة العربية والأجنبية يكتسبون مهاراتهم في المملكة العربية السعودية، مهارات كانوا يفتقدونها قبل قدومهم إلى العمل فيها.

لقد توصل سعد الدين إبراهيم في دراسته لتحويلات المصريين في

---

(١١) المصدر نفسه، ص ١١١.

Twitter: @abdullah_1395

الخارج في ما بين ١٩٧٤م و١٩٧٨م، أي عقب ارتفاع أسعار النفط إلى أن حجم التحويلات قد زاد من ٢٦٨ مليون دولار عام ١٩٧٤إلى ١٧٦١مليون دولار عام ١٩٧٨م، أي بزيادة قدرها ٦٠٠ في المئة خلال أربع سنوات، بل زادت إلى ٢٠٠٠ مليون دولار. وهذا المبلغ يساوي أو يفوق المحصلة المتجمعة والعائدة على مصر من صادرات القطن، وإيرادات قناة السويس، والسياحة، والقيمة التي أضافها سد أسوان العالي[١٢].

ـ وعلاوة على ذلك، فإن العمالة العربية الوافدة استفادت من تصدير كثير من السلع والأدوات المعروضة في السوق والمستوردة من الخارج، والتي لم تكن موجودة في بلدانهم، ولكن بأسعار مكلفة. فالسعودية في عصر الطفرة التي صاحبها إعفاء من الضريبة وتخفيض قيمة الجمارك أصبحت سوقاً رائجة للمنتجات الأوروبية والأمريكية واليابانية من سيارات وتلفزيونات وثلاجات وفديوهات وأجهزة كهربائية متعددة وسجاد ثمين تصدر مرة ثانية للأقطار العربية من خلال المقيمين العرب.

ب ـ البيروقراطية: وهي فئة تحظى بسمعة سيئة، ليس لدى عامة الناس، بل حتى لدى المثقفين منهم، فكانت مادة للعديد من الكتابات المنهجية والصحافية، وكاد يتخصص فيها بعض الأكاديميين السعوديين[١٣]. وتتألف هذه الفئة من الجهاز الإداري الحكومي، القلة منه لا تكون رواتبهم المصدر الوحيد لدخلهم، فهم علناً أو خفية لهم مشاريعهم الخاصة أو المشتركة مع فئات أخرى من الطبقة العليا أو المتوسطة أو القطاع الخاص. وهؤلاء يسميهم أسامة عبد الرحمن «مافيا البيروقراطية» التي تمارس العهر البيروقراطي، والتي أثرت ثراء فاحشاً في غمرة الثروة النفطية. لا تضم تحت مظلتها بعض الموظفين في الأجهزة الرقابية فحسب، وإنما تضم آخرين من ذوي النفوذ البيروقراطي، وربما بعض رجالات القطاع الخاص الذين لهم علاقة وثيقة بالبيروقراطية، وخصوصاً من خلال الصفقات التي يعقدونها مع البيروقراطية باسم المناقصات والممارسات و(Cost Plus).

---

(١٢) المصدر نفسه، ص ١١٨.

(١٣) انظر: أسامة عبد الرحمن، **البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية: مدخل إلى دراسة إدارة التنمية في دول الجزيرة العربية المنتجة للنفط**، عالم المعرفة؛ ٥٧ (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٢).

Twitter: @abdullah_1395

ج ـ أصحاب المهن الحرة ومتوسطو منتسبي الجهاز الإداري: وهي الفئة التي تتألف من المهندسين والأطباء والكوادر الوسطى للجهاز الإداري والعسكريين، والتي تتدرج في السلم الوظيفي والمهني فينعكس ذلك إيجاباً على موقعها الطبقي. وبإمكانها نظرياً أن تواصل الحراك الصاعد في حدود الهامش المتاح لها، ولن تصبح من الطبقة الوسطى حقاً من خلال الراتب الشهري إلا إذا أضافت لهذا الراتب الشهري مداخيل أخرى من خلال التعامل بالأسهم، أو المنح من قبل الدولة أو المضاربات العقارية، أو فتح محلات تجارية، أو استقدام مكفولين، أو تقسيط السيارات، أودخول أخرى. فالدخول في المجتمع السعودي لها وجوهها المتعددة. وفي إمكان الفرد الجاد تحسين دخله بطرق عدة، فالسوق السعودية مفتوحة، والفرص متعددة وكثيرة على الرغم من المخانق البيروقراطية والعائلية.

٣ ـ الطبقة الدنيا

وهي طبقة انحسرت في عقدي السبعينيات والثمانينيات بفعل الطفرة النفطية والسيولة النقدية الحاصلة خلال الخطط الإنمائية الثلاث الأولى، ولكنها عادت لتتوسع خلال التسعينيات بعد أزمة الخليج وتداعياتها الاقتصادية على موازنة المملكة عموماً وحجم الدخل الفردي ومستويات المعاش. وقد يستغرب البعض وجود طبقة دنيا واسعة في المجتمع السعودي تأوي داخلها فئات من المحرومين والفقراء، فالمتأمل في المدن السعودية يفاجئه الانتشار المتزايد لما غدا يسمى سوسيولوجياً بأحزمة الفقر داخل الأحياء العشوائية، وحتى الأحياء المخططة تخطيطاً حديثاً، ولكنها لا تنال اهتماماً جيداً من خلال توصيل الخدمة أو الاستمرار بصيانتها بعد توصيلها. وهي التي يقطنها:

أولاً: السكان الأصليون من القبائل النازحة من القرى والأرياف والبادية منذ عقدين من دون أن تتمكن من دخول مسالك المدنية وعالمها.

ثانياً: العمالة الأجنبية، وهؤلاء يسكنون في منازل شعبية وأكواخ من الصفيح كانت في الماضي منظراً منفراً ويسبب الاشمئزاز، ولكنه الآن أصبح أمراً مألوفاً.

Twitter: @abdullah_1395

ثالثاً: المقيمون إقامة دائمة سواء المتخلفين (الهجرة السرية) أم المقيمين شرعياً ويمكن عموماً أن نعدّد الفئات التي تحويها:

الفئة الأولى: البدو الرحل والمستقرون، وهم السكان الأصليون الذين لم يستفيدوا كثيراً من مداخيل النفط، وظلوا محافظين على نمط معاشهم على الرغم من استفادتهم من الوسائل الحديثة باستعمالهم للشاحنات للانتقال بالغنم من مكان إلى مكان وما شابه ذلك..

أما المستقرون الذين يشتغلون بالزراعة، فلا تزال الزراعة بدائية، ويعتبرون أنفسهم من المحرومين، وهم فعلاً كذلك مقارنة بغيرهم من الفئات. فلم يستفيدوا من القروض الزراعية الكبيرة التي استفاد منها غيرهم، ومعظمهم من كبار البيروقراطية، بل أصبح البنك الزراعي يطالبهم بسداد القروض الصغيرة التي لا يستطيعون سدادها حتى لو باعوا ممتلكاتهم الزراعية.

الفئة الثانية: وهي المتكونة من صغار موظفي القطاع البيروقراطي: صغار موظفي القطاع الخاص، ورتب الجنود في القطاع العسكري: الحرس الوطني والدفاع والأمن العام... إلخ. وهي فئة تجد ضنكاً في تحصيل الرزق على الرغم من أن رواتبها الشهرية لابأس بها، ولكن ثقافتها وتمسكها بعادات وتقاليد استهلاكية ومجاراة الآخرين، وحصولها على الحاجات بواسطة الديون والأقساط الشهرية أوصلتها إلى حالة اقتصادية تحدرت بها إلى تلك الفئة.

ولعل اللافت هو أنه يندر أن تشهد هذه الطبقة حراكاً اجتماعياً صاعداً، بل لقد أثبت العقد الأخير وأساساً تحت التبعات المالية الخطيرة لأزمة الخليج أنها تتسع باستمرار.

الفئة الثالثة: تتكون من قاطني هوامش المدن وأحزمة فقرها، وهم ـ كما أشرنا سابقاً ـ إما من أبناء البدو النازحين أو من أبناء الجاليات الإسلامية التي قدمت إلى المدن خلال النصف الأول من القرن العشرين الميلادي. وأهم هذه الجاليات الموريتانيون والبخاريون والبرماويون، وجاليات عدة أخرى آسيوية تمكن أغلبها من الحصول على الجنسية السعودية، وينعتون بـ «المتجنسين».

Twitter: @abdullah_1395

وإنه مما تجدر ملاحظته أن البنية الطبقية للمجتمع السعودي على الرغم مما أبديناه من جرأة في تحديد ملامحها تتميز بما يلي:

ـ صعوبة رسم الحدود بين الطبقات (Class Boundary Problem). فالباحث في الطبقات المكونة لا يهتدي إلى حدود دقيقة وفاصلة بين الطبقات «إن أية محاولة لتركيب خريطة طبقية لأي مجتمع سوف تواجه مشاكل عديدة تتعلق برسم الحدود في ما بين الطبقات المختلفة»[١٤].

ـ التفاوت الحاصل في مستوى التكون الاجتماعي للفئة أو الجماعة الطبقة الواحدة، فالظروف الاجتماعية المختلفة (بدو، حضر) وقطاعات الاستثمار، والعلاقات تفرق تفريقاً واضحاً بين التكون الاجتماعي للفئات: «في ظل استمرار لعب العلاقات التقليدية (العائلية والمناطقية) دوراً ملموساً في بعض المجتمعات العربية، فإن حداثة تكوين الفئات الوسطى تجلّى قاعدة اقتصادية غير عميقة الجذور تجعلها أقل قدرة على التعامل كفئات محددة موحدة»[١٥].

ـ غياب البيانات والوثائق اللازمة: إذ تفتقر المكتبة السعودية والعربية إلى قاعدة بيانات إحصائية حول الطبقات وكل ما يمكن الاهتداء إليه مقالات صحفية محلية أو أجنبية أو استنتاج من خلال قراءات في مواضيع متعددة. ويظل المتوافر غير كافٍ.

كما أن الجذور الهلامية غير الواضحة تتحرك من دون «منطق» ومعقولية تدفعها أحياناً الحظوظ وما يعرف في المجتمع السعودي بـ «البخت»، في حين أنه ليس في حقيقة الأمر سوى معرفة الفرص وتحيّنها، وحذق ربط العلاقات الشخصية، وقوة التوقع.. وبعض الخبرة.

ولا يفوتنا في النهاية إثارة ما أحدثه الرّيع اقتصاداً وسلوكاً من غياب علاقات إنتاج حقيقة، ما حدا حازم الببلاوي على نعت الشرائح الاجتماعية بـ «بهيكل الشرائح الريعية»، لأن الدور الأساسي للدولة الريعية ـ وقد ضمنت

---

(١٤) عبد الفضيل، **التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية في الوطن العربي: دراسة تحليلية لأهم التطورات والإتجاهات خلال الفترة ١٩٤٥ ـ ١٩٨٥**، ص ٢٢٩.

(١٥) المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

Twitter: @abdullah_1395

احتكار عوائد النفط ـ هو إعادة توزيع الرّيع: «باعتبارها مؤسسة لتوزيع المنافع والمكاسب، وقد انعكس ذلك بدوره على تشكيل علاقات المجتمع، بحيث ترتب هذه العلاقات على نحو يسمح للمصالح الخاصة والفئات الاجتماعية المختلفة بالحصول على أكبر قدر من إعادة توزيع الرّيع المتحقق لدى الدولة.

وقد ترتب على قيام هذه الدولة الريعية نشوء شبكة من العلاقات لتوزيع وإعادة توزيع المزايا والمنافع، بحيث انتظم المجتمع في هيكلية أشبه بهرم من الشرائح الريعية المتتابعة التي تحصل على مزايا خاصة نتيجة لموضعها المتميز. وهي تقوم بدورها بإعادة توزيع جزء منه لحلقات تالية من الشرائح الريعية»[١٦].

ومحصلة لكل ما قلناه في هذا الفصل فإن المجتمع السعودي قبل حرب ١٩٧٣م وما أعقبها من طفرة لأسعار النفط كان يسوده التوازن النسبي، إذ كان شكل الأسطوانة الطبقية ضموراً في أحد طرفيها يضم الطبقة العليا، وانتفاخاً كبيراً في الوسط يضم الطبقة الوسطى. أما الطرف الآخر فهو أكبر من الطرف الأول، وأصغر من الوسط، وهو يضم الطبقة الدنيا. فالطبقة الوسطى واسعة جداً سواء بالنسبة إلى الطبقة الدنيا أم الطبقة العليا بصرف النظر عن المقارنة بين ما قبل الطفرة وما بعدها. والطبقة الوسطى ما بعد الطفرة تعتبر بالنظر إليها بمقاييس ما قبل الطفرة كالطبقة العليا، فمنزل الملك (فيصل) في حي الحمراء في جدة قبل عام ١٩٧٣م، يسكن مثله في عام ١٩٨٩م مجرد تاجر جملة، أو موظف برتبة مدير عام.

المجتمع السعودي قبل الطفرة النفطية نستطيع أن نصفه اجتماعياً واقتصادياً بأنه مجتمع مستقر نوعاً ما، إلا أنه من حيث سنن المجتمعات المدينية يفرز إفرازاً طبيعياً ـ كمجتمع مدني ـ تيارات فكرية وحركات سياسية يواجهها النظام باستمرار. هذه التحولات أنبتتها تربة الطبقة الواسعة في ذلك الوقت، وغذتها تطلعات الطبقة الوسطى الثقافية المتباينة بين التراث والحداثة.

---

(١٦) انظر: حازم الببلاوي، «الدولة الريعية في الوطن العربي،» ورقة قدمت إلى: **الأمة والدولة والاندماج في الوطن العربي** (ندوة)، المحرّرون غسان سلامة [وآخرون]، ٢ ج (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩).

Twitter: @abdullah_1395

وعادة ما يكون الخطاب التراثي هو الغالب سواء عن قناعة من القلة، أم عن عدم قناعة من الكثرة.

وإذا استرجعنا ما تحدثنا عنه قبل قليل عن طبقات المجتمع السعودي ما قبل الطفرة، وما أفرزه المجتمع ـ على الرغم من استقراره نسبياً ـ من تيارات وحركات يواجه نتائجها النظام باستمرار، فإننا لن نقف طويلاً لنتأمل كيف تكون نتائج مجتمع تحولت القلة من بعض فئاته سريعاً إلى طبقة مفرطة في الغنى، ومن دون جهد يذكر، فأفرطت في الملذات، وتضخمت عندها الذات. وأصبحت مسعورة في حب تراكم رأس المال الذي لا تستفيد منه إلا من رقمه دفترياً. وعلى النقيض من ذلك تماماً طبقة واسعة جداً تنتشر فيها البطالة بكل ما تفرزه من مساوئ اجتماعية وسياسية واقتصادية.

تواجه هذه الطبقة اقتصادياً فواتير كثيرة آخر كل شهر، وهي تشاهد معروضات كثيرة في المحلات التجارية لا تمكّنها دخولها من اقتنائها. أما اجتماعياً فهي طبقة متوترة وقلقة وسريعة الانفعال، وتتأثر بالإشاعة، وتنغرّ بالخطاب الخادع. وأما سياسياً فتوجهها أيديولوجياً وثقافياً المحطات الفضائية الواسعة الانتشار. وتأتي بين هاتين الطبقتين طبقة محبطة ومغتربة عن مجتمعها تخلت عنها الطبقة العليا، ويجري شدها إلى أسفل الطبقة الدنيا، وهي تحاول أن تبقى مكانها حتى ولو كانت خائرة القوى، مثبطة العزيمة، مسدودة في وجهها مسالك الحراك الاجتماعي. فالطبقة الوسطى بوعيها الثقافي ورأسمالها الاجتماعي وتأثيرها السياسي محل اهتمام كافة استراتيجيات سياسات المجتمعات المدنية التي تتكئ على مؤسسات مدنية تعقلن الفعل السياسي، وترشد التدبير الاقتصادي، وتوجه السلوك الاجتماعي.

إن تأمين الجبهة الداخلية لا يتم إلا من خلال الطبقة الوسطى، والمجتمعات المدنية التي تتكئ على مؤسسات مدنية تعطي نسبة كبيرة من الاهتمام للطبقة الوسطى لتأمن خطرها من جانب، ومن جانب آخر للإفادة منها، وتفعيلها، وتعزيز كافة الشرائح فيها، وتقويتها، فالطبقة الوسطى بما تملكه من تطلعات سياسية ورؤى ثقافية وحراك اقتصادي وقدرة على التأثير هي القاعدة التي ينطلق منها المجتمع، وتأمين الجبهة الداخلية لا يتم إلا من خلال الطبقة الوسطى. أما المجتمع السعودي فالعين المجردة لا تخطئ هدوء الجبهة الداخلية إذا اعتبرنا أن مقاييس الهدوء هي عدم المظاهرات أو

Twitter: @abdullah_1395

الاحتجاجات، وكذلك إذا اعتبرنا أن الولاء هو من خلال ما تقدمه القنوات الدعائية كالصحف المحلية والإذاعة والتلفزة المحلية.

أما إذا أجرينا جرداً سنوياً لأداء الفعل السياسي فسوف لا تخطئ العين المجردة كذلك أن الإرادة السياسة مأسورة بفعلها السياسي وصرفها المالي إلى المحيط الخارجي وتجاوز الجبهة الداخلية. وكذلك لا تخطئ العين المجردة أن الطبقة الوسطى تحاصر بمصالح فئوية أو مناطقية أو شخصية، كما أصبحت مصالحها محاطة بالفساد الإداري بكل أشكاله من كل جانب. وقد تأكد لها من واقع الفعل المعاش أن البحث عن القيادات البيروقراطية في دوائر الدولة كافة يتم عبر قنوات المصالح الشخصية والمزاجية، وبعيداً عن معايير الأداء والأهلية والكفاءة، أو على الأقل التمثيل السكاني. ويفتقر المجتمع حتى إلى بدايات جنينية لمؤسسات اجتماعية مدنية تضيق مسار الانحراف، وتخطط لتحديد أهداف المجتمع وانطلاقاته نحو أهدافه..

كل هذا يتم في عصر يشهد تحولات اجتماعية وعلمية هائلة، وعلى مستوى الكرة الأرضية، فخلال سنوات قليلة جداً تحولت ١١٨ دولة في العالم كانت توسم بأنها متطرفة بالاستبداد إلى دول تمارس تجربة الديمقراطية، سواء ديمقراطية «مكياجية»، أم ديمقراطية حقيقية.. اللهم إن هناك محاولات للتجربة.

Twitter: @abdullah_1395

خاتمـــة

حاولت في هذا البحث دراسة المجتمع السعودي قدر الممكن، واعتبرتها المدخل الأصوب لفهم تحولات المجتمع السعودي وما لحقه من تغيرات. ولم أنظر إلى المجتمع من الداخل فحسب حتى لا يتحوّل إلى جسم غريب معزول عن بيئته، بل على عكس ذلك سلمت منذ البداية أن شرائح المجتمع السعودي المتعدّدة ـ والتي تعرّضت إليها بإطناب ووقفت على مكوّناتها وخصائصها ـ تحمل في طيّاتها الكثيرَ من سمات مجتمعها، وذلك لثقل المواريث الاجتماعية التي عدّدتها في مؤلفي **السعودية: السياسي والقبيلة**، يضاف إلى ذلك ما طرأ على المجتمع السعودي من تحوّلات خصوصاً ابتداءً مع «عصر النفط» الذي غيّر العديد من ملامح المجتمع السّعودي من دون أن يعيد صياغةَ عمقه على نحو آخر، فتداخلت الأمور وتشوهت البُنى. فمع «المدنية» و«الحداثة» لا تزال النزعات الإقليمية والثنائيات القديمة، وخصوصاً ثنائية بدو وحضر، وحسب ونسب، وقبلية ومدينة، تحدّد سلوك الناس. وكان الأمر يهون لو لم تتسرب هذه التصّرفات إلى نخبة المجتمع سواء النخب السياسية أم البيروقراطية، وهي الأهم، أم الثقافية والمشايخية، والتي لم تكتف بالانسياق إليها، بل هي معنية في إذكائها وتبريرها، وخصوصاً أنها تملك الزاد العلمي والمكانةَ الاجتماعيةَ، وذلك ما يجعلها ذات «إقناع ونفوذ».

لقد اخترت «المجتمع» مقولة تفسيرية لاعتقادي الراسخ أن المجتمع السعودي لخصوصياته العديدة؛ ثقل مواريثه و«صدمة النفط»، لم يشهد فرزاً

Twitter: @abdullah_1395

طبقياً حقيقيّاً لغياب الصراع الطبقي أو وعيه، ولا شهد حركاتٍ اجتماعيةً كالحركة العمالية أو الشبابية أو النسائية، وذلك ما منعني من استعمال مفاهيم أخرى كالطبقة أو الحركة الاجتماعية مثلاً، أو غيرها من المفاهيم التي لا تنطبق علمياً على ما يعيشه المجتمع السعودي.

إن «النهضة» التعليمية التي شهدتها المملكة العربية السعودية والتي مولتها «السيولة النفطية» ـ وربما كانت نتيجة لها ـ فتحت المجال واسعاً للحراك المجتمعي، ولم يسبق للمجتمع السعودي أن عرفه، ما أفرز شرائح اجتماعية اصطفت جنباً إلى جنب مع شرائحه التقليدية، وخصوصاً فئة علماء الدين. فالأفواج العديدة التي ابتعثتها المملكة إلى الخارج لمواصلة التعليم العالي ـ وربما أكثر من أي دولة عربية أخرى ـ لم تضخ دماءً وأفكاراً جديدة في المجتمع السعودي على الرغم من وجودها في القطاعات والمجالات كلها، وذلك ما دفعني إلى محاولة معرفة الأسباب التي عزوتها في النهاية إلى وطأة المواريث الاجتماعية التي تميز الجزيرة العربية، وما فعله النفط من تشويه وتزييف اجتاح حتى ضمائر الناس وقيمهم.

فالفئات السعودية المتعلمة ظلت مرتهنة إلى حد ما بمواريثها ما جعلها تحمل العديد من خصائصها وسماتها. ولم يستطع التعليم على أهميته تغيير «العقليات» التي ظلت أيضاً مشدودة إلى تلك الثنائية التي تحكمت، لا في تاريخ الجزيرة العربية فحسب، بل في تاريخ العرب قاطبة. إنها ثنائية: بدو/ حضر، كما ذكرت في غير مناسبة.

كان المجتمع السعودي، كما ناقشت في كامل البحث، في نشأته وتكوينه شديد الخصوصية في مزجه بين عمق التراث وحداثة الحاضر من دون أن يقع تحت تأثير ميراث ثقافيّ استعماري كما حدث في أقطار عربية أخرى. لقد استطاعت الفئات المتعلمة من المجتمع السعودي والتي استطاعت أن تصل إلى مراكز النفوذ في البيروقراطية أن تجمع ما يعده البعض «نقيضين» في ضرب من التوظيف المتبادل، فهي قد وظّفت العلم والمعرفة والإدارة مثلاً لتشد أزر العائلة والإقليم، وربما مثل ذلك أحد مصادر قوّتها وفاعليتها.

هذه الخصوصية التي بدت لي جلية هي التي دفعتني إلى التعامل اليقظ

مع التراث النظري المتراكم في تعريف البداوة والقبيلة والعائلة والإقليم والحارة ومصادر قوتها، ما ألزمني بدوره بعدم إغفال الحراك الاجتماعي الذي شهده المجتمع السعودي. فالخصوصية لا تنبع من مواريث الماضي فقط، بل من انعطافات الحاضر القريب أيضاً، وبالتحديد منذ قيام الدولة السعودية الحديثة التي ترافق قيامها مع الاكتشافات المبكرة للنفط، ما أخضع المجتمع السعودي إلى تغييرات كبرى.

إن نشأة الوعي في الفئات المتعلمة، ما عدا فئة علماء الدين منها، كانت نشأة متأخرة نسبياً، مقارنة ببعض المجتمعات العربية الأخرى، فهي لم تكتسب ملامحها إلاّ في النصف الثاني من القرن العشرين. وهي مرتهنة أيضاً إلى الدولة حتى أنني كدت أصفها بكونها نخبة دولتية، فظلت لهذا السبب مدينة لها. فالشرائح السعودية على اختلاف مكوناتها الفرعية هي بلا شك أحد نتاجات المشروع التحديثي للدولة السعودية، والتي سعت إلى تطبيقه من خلال المخططات الإنمائية المتتالية. لقد كانت البيروقرطية جنيناً تكون في رحم الدولة، واستمر من دون فطام يرضعها حتى حمل تبعاً لذلك العديد من سماتها وسمات المجتمع السعودي في الآن نفسه، كما بينت في كامل هذا البحث.

إن الدارس المتأنّي للمجتمع السعودي ليقف على حضور المواريث فيه وخصوصاً تلك المتعلقة بالقيم والرموز والمعايير. إن المتمعّن في بنية هذا الجنين وتركيبته، أو ما سيطرأ عليه من تغييرات على الرغم من بطئها ومحدوديتها سيستفيق على حجم الموروث العائلي و«الإقليمي» الذي يسم ذلك المجتمع.

لذلك كان لزاماً عليّ خضوعاً لمقتضيات المنهج وبحثاً عن سببيّة مفسرة أن أفرد لمواريث المجتمع السعودي المتعددة مؤلفاً بذاته، كما أوضحت سابقاً، أقف فيه على هذه المواريث في تفاصيلها الدقيقة، وهي التي لا تزال حيّة توجه سلوك الأفراد والجماعات، ومن بينها سلوك الفئات القائدة للمجتمع.

فالدين الإسلامي والعروبة إلى جانب البداوة والقبيلة الضاربة في عمق التاريخ الاجتماعي للجزيرة العربية قد حدّدت بصفة حاسمة أداء مكونات

الدولة، كما ساهمت في صياغة مواقفها ورؤاها. فالضمير الجمعي على النحو الذي حدده عالم الاجتماع الفرنسي إميل دوركهايم محكوم بهذا الثالوث: عروبة، إسلام، بداوة أو قبيلة (على اعتبار أن البداوة والقبيلة يكونان في اعتقادي مركباً واحداً منسجماً)، وهو الثالوث ذاته الذي ظل يضغط على البيروقراطية على الرغم من أنها تفوق المجتمع قدرة على التعاطي معه ضمن رهاناتها واستراتيجياتها الخاصة خضوعاً لوطأة التحولات العميقة التي ما زالت تهزّ المجتمع السعودي برمّته.

إن هذا الارتهان إلى الموروث ذي الأبعاد الثلاثة المذكورة سلفاً لا يعني

بأي حال أن البيروقراطية هي تطوّر من داخل الجسم التقليدي للمجتمع السعودي فحسب، فأنا لطالما أكدت خلال كامل فصول البحث على السمة الحديثة لها باعتبارها كما بيّنت ذلك ولدت من «رحم» التحولات الحديثة التي لا زال يشهدها المجتمع السعودي، فهي حداثية النشأة والمولد لكونها مدينة في تلك النشأة بالذات إلى قيام الدولة السعودية الحديثة غذاها في ما بعد النفط والتعليم.

إن الثروة النفطية التي أعقبت مباشرة قيام الدولة السعودية الحديثة ستفتح عصراً جديداً ستتغير معه ملامح المجتمع السعودي وكامل الجزيرة العربية على نحو سيفتح المجال للحديث عن التشوه العميق الذي لن يطول البنى الاجتماعية لهذا المجتمع فحسب، بل رموزه وقيمه ومواقفه ورؤاه أيضاً.

فالنفط هو الذي حوّل إلى حدّ بعيد تلك الصحراء التي ظلت لحقب طويلة صامتة خرساء إلى فضاء صخب وحركة وضجيج إلى حد الضوضاء على نحو عنيف بمقتضاه يتهيكل المجتمع السعودي وفق بنى جديدة لم يألفها من قبل.

والتشكيلة الاجتماعية السعودية التي على خارطتها تتوزع محددات المجتمع السعودي، وتتحرك عمودياً وأفقياً أسهم النفط بلا ريب في صياغتها وأكسبها طابعاً هلامياً ألقى بظلاله على كامل الفضاءات الاجتماعية وما حوته من ممارسات اجتماعية أو سياسية، وكذلك أنماط وعي وأفكار ورؤى. ولم

تنجح الدولة السعودية في التخلص من هذا الأثر لكونها عاجزة كما بينا عن تحصين نفسها من هذه الاختراقات الخطيرة التي لم يتصد لها ولم يلطفها إلا التعليم.

استطاعت النهضة التعليمية الكبرى التي جندت لها الدولة السعودية الفتية منذ بداياتها الأولى كافة مواردها وإمكاناتها التي تدعمت بعد اكتشاف النفط من خلال مختلف الإجراءات والسياسات كالابتعاث إلى الخارج، وتركيز بنية أساسية كبرى لخدمة ذات الغرض، أن تحوّر في المشهد التقليدي للمجتمع السعودي.

والتعليم كما شهده المجتمع السعودي وخصوصاً في العقود الأربعة الأخيرة من القرن الماضي ساهم مساهمة فاعلة في ميلاد الشرائح الاجتماعية على كافة أنواعها وتخصصاتها وتجددها، ولعل ذلك ما يجعلها مدينة له أيضاً. فتعميم التعليم وما رافقه من حوافز وتشجيعات استطاعت خلال عقود من الزمن أن تفرز هذه الشرائح وبالملامح التي حددتها في أثناء البحث، والتي بدورها غذّت الجهاز السياسي والإداري للدولة السعودية الناشئة ما جعل سياسة السّعْوَدة أمراً ممكن الإنجاز بداية من التسعينيات في العديد من القطاعات الاقتصادية والإدارية، على الرغم من بعض النواقص والملابسات.

لقد استطاع التعليم ـ الذي إليه ترتهن الشرائح السعودية كما بينت سالفاً ـ إلى حدّ بعيد أن يحدث تعديلاً ما على البنى التقليدية للمجتمع من دون أن يفلح في تجاوزها تجاوزاً كلياً على نحو يقوّضها، ولكنه وبالمقابل أيضاً خضع بدوره لضغوطاتها. فقد فازت بعض المناطق والأقاليم بالحظوظ الأوفر منه سواء من خلال سياسات الابتعاث كما بينا خلال الجداول العديدة، أم في حصص التوظيف، وخصوصاً في المناصب العليا المسندة إلى أصحاب المستويات التعليمية العليا في الجهاز الإداري الحكومي (البيروقراطية).

لقد تمكن التعليم ـ بذاته ـ وبما أشاعه استناداً إلى بقية الروافد الأخرى كالصحافة المكتوبة ومختلف بقية الوسائل المسموعة والمرئية للإعلام أن يغير بعض الشيء من الذهنية الجماعية أولاً وقبل كل شيء.

غير أن العقد الأخير من القرن الماضي حمل بعض المؤشرات السلبية،

فالتطور الكمي المهم لنسب التمدرس رافقه على العكس من ذلك عجز بدأ يفشل في توظيف مخرجات التعليم، وذلك ما لم يكن أحد يتصوره في مجتمع ظل إلى حد قريب ولا يزال مورّداً لليد العاملة. إن هذه الأزمة التي بدأت تعتري مخرجات التعليم قد ضيقت الممكنات التي كان التعليم يحتفظ بها لنفسه في مجال الحراك الاجتماعي الصاعد خصوصاً، والذي بدأ يفتر في العشر السنوات الماضية تحت وطأة الفاتورة الباهظة لحرب الخليج، وتراجع مشاهد الوفرة والرفاه إلى حد كبير. وذلك ما دفع أفواجاً كبيرة من الشباب المتعلم إلى اليأس النهائي من أن يكون التعليم المسلك المناسب سواء للانتساب للشرائح الاجتماعية النخبوية أم لتسلق مواقع النفوذ السياسي أم حتى الحصول على الوظيفة المناسبة على وجه العموم، ما أسهم أيضاً في دفع الشرائح الاجتماعية الإقليمية والعائلية إلى الانغلاق وعدم الانفتاح على بقية الشرائح الاجتماعية الأخرى في كامل المجتمع السعودي.

لقد التزمت بالواقعية العلمية حينما أكدت أن السياسة كانت أكثر حضوراً في تشكيل هذه الشرائح وتوجيه فعلها على الرغم من التقاطعات العديدة الحاصلة مع دنيا المال وخفاياه التي قد تكون أحياناً أشد بأساً وتوجيهاً.

فالنفط عصب الحياة الاقتصادية للمجتمع السعودي ومغذّي شرايينه يظل في نهاية الأمر ملكاً تابعاً للحكومة. إن الريع النفطي ظلّت فيه تتحكم «الدولة» وتوزعه على النحو الذي تشاء على الرغم من التغييرات الحاصلة على الاقتصاد السعودي في السنوات الأخيرة. لكل هذه الأسباب قصدت دراسة تلك الشرائح، واعتبرتها الطريقة الأصوب في الإلمام بالنخبة بفهمها ككلّ، كما أوضحت في مؤلفي **النخب السعودية** حيث درست فيه النخبة السعودية، فدرست تباعاً النخبة الوزارية والنخبة الاستشارية والنخبة المشائخية والنخبة البيروقراطية والنخبة المثقفة (الأنتلجنسيا)[1].

ولعل مناقشة هذه النخب في مؤلف مستقل لم يكن اعتباطاً، بل كان نتيجة لما تحتلّه هذه النخب من قيمة رمزية عليا (وجاهة، نفوذ، هيبة) في المجتمع السعودي أو بموجب ذلك كالنخبة الوزارية التي تتربع على عرش

(١) محمد بن صنيتان، **النخب السعودية: دراسة في التحولات والإخفاقات**، سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ٤٨ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٤).

Twitter: @abdullah_1395

كامل النخب الأخرى المتبقية، وتتحكم في تحديد مسارها، غير أنه وعلى خلاف بقية النخب الفرعية الأخرى والنخبة الوزارية بجل البلدان العربية تتجه هذه النخبة الوزارية إلى الانغلاق. فهي نخبة قليلة الدوران اتضحت انغلاقيتها جلية حين المقارنة بغيرها من الدول العربية المختارة للمقارنة (الأردن، مصر). وهذه الانغلاقية تكاد تكون ثابتة قلما تنفتح لتنتدب أعضاء جدداً من بقية شرائح المجتمع الأخرى، وتظل في ذلك على قدرتها محكومة بمحددات عدة لا شكلية حيث تؤدي العلاقات القرابية الأسرية إلى جانب قيم الولاء الشخصي وقيم نفعية أخرى الدور الحاسم في تعين الوزراء ذاتهم. وهي أكثر النخب السعودية وفاءً للموروث السلبي للمجتمع السعودي في رواسبه الأكثر تحجراً؛ الإقليمية والمناطقية والعائلية. فالعدد الأكبر من الوزراء يتحدرون من المثلث النجدي والمثلث الحجازي، ويكاد ينعدم وجود التمثيل القبلي على الرغم من أنهم هم أغلبية السكان وعلى مستوى المناطق كافة، هذا إلى جانب تدنّي الأداء المتسم بالفردية والزبونية الذي يعمل في ظل غياب قواعد مؤسساتية تعقلن التعيين، وتنمّي روح المسؤولية والمحاسبة.

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395

المراجـــع

١ ـ العربيـة

كتـب

إبراهيم، سعد الدين. **النظام الاجتماعي العربي الجديد: دراسة عن الآثار الاجتماعية للثروة النفطية**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٢.

ابن تيمية الحراني، أبو العباس أحمد بن عبد الحليم. **الإيمان**. الإسكندرية: دار عمر بن الخطاب، [د. ت.].

ابن صنيتان، محمد. **استراتيجية لمستقبل التربية والتعليم**. جدة: دار القبلة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م.

ـــــ . **بحوث ودراسات اجتماعية**. القاهرة: دار المعارف، [د. ت.].

ـــــ . **التقاعد**. الرياض: مؤسسة الممتاز للطباعة والتجليد، ١٩٩٣.

النخب السعودية: دراسة في التحولات والإخفاقات. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٥. (سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ٤٨)

ابن عبد الوهاب، محمد. **التفسير ومختصر زاد المعاد**. الرياض: مطابع الرياض، [د. ت.].

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن حسن. **المجد في تاريخ نجد**. الرياض: دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م.

أبو حطب، فؤاد وآمال صادق. **مناهج البحث وطرق التحليل الإحصائي في العلوم النفسية والتربوية والاجتماعية**. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٩١.

Twitter: @abdullah_1395

أطلس العالم، ١٩٩٩.

أمين، سمير. **التطور اللامتكافئ: دراسة في التشكيلات الاجتماعية للرأسمالية المحيطية**. ترجمة برهان غليون. بيروت: دار الطليعة، [١٩٨٠]. (سلسلة السياسة والمجتمع).

بايار، جان فرانسوا. **أوهام الهوية**. ترجمة حليم طوسون. القاهرة: دار العالم الثالث، ١٩٩٨.

بولنتزاس، نيوكوس. **السلطة السياسية والطبقات الاجتماعية**. بيروت: دار ابن خلدون، ١٩٨٣.

البيضاني، عبد الرحمن. **مأزق اليمن في صراع الخليج**. القاهرة: دار المعارف، ١٩٩١.

الجابري، محمد عابد. **فكر ابن خلدون، العصبية والدولة: معالم نظرية خلدونية في** التاريخ الإسلامي. ط ٦. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤.

الخطراوي، محمد العيد. **مدرسة العلوم الشرعية**. المدينة المنورة: مكتبة دار التراث، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

الخوري، فؤاد إسحق. **القبيلة والدولة في البحرين: تطور نظام السلطة وممارستها**. بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٣. (سلسلة الدراسات الاجتماعية والأنثروبولوجية).

الداود، عبد المحسن. **التعليم العالي في المملكة**. الرياض: دار أركان للنشر والتوزيع، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

درويش، مديحة أحمد. **تاريخ الدولة السعودية حتى الربع الأول من القرن العشرين**. جدة: دار الشرق، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

رضا، محمد جواد. **صراع الدولة والقبيلة في الخليج العربي: أزمات التنمية وتنمية الأزمات**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢.

سعيد، أمين. **تاريخ الدولة السعودية**. [القاهرة]: دار الكاتب العربي، [د. ت.].

الشركة العربية الأمريكية (آرامكو). **التقرير السنوي ـ ١٩٨٨**. الظهران: آرامكو، ١٩٨٨.

ـــــ. **صناعة الزيت وتطورها في المملكة العربية السعودية**. الظهران: آرامكو، ١٩٩٩.

Twitter: @abdullah_1395

صبري باشا، أيوب. **مرآة جزيرة العرب**. ترجمة حنفي بن عيسى. الجزائر: الشركة الوطنية للتوزيع، ١٩٧٩.

صبور، أمحمد. **المعرفة والسلطة في المجتمع العربي: الأكاديميون العرب والسلطة**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٢. (سلسلة أطروحات الدكتوراه؛ ١٨)

الصويغ، عبد العزيز. **أزمة الطاقة إلى أين**. جدة: [د. ن.]، ١٤٠٠هـ/ ١٨٨٠م.

ضاهر، محمد كامل. **الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث**. بيروت: دار السلام، ١٩٩٣.

ضاهر، مسعود. **المشرق العربي المعاصر من البداوة إلى الدولة الحديثة**. بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٨٦. (الدراسات التاريخية)

طاشكندي، أحمد محمد. **منظمة الأوبك**. [د. م.]: مطابع الشروق، ١٣٩٥هـ/ ١٩٧٥م.

طربين، أحمد. **التجزئة العربية: كيف تحقّقت تاريخياً؟**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧م. (سلسلة الثقافة القومية؛ ١٤)

الطريقي، عبد الله. **البترول العربي سلاح في المعركة**. بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، مركز الأبحاث، ١٩٦٧.

العائدون من حقول النفط: أعمال الندوة التي نظمها منتدي الفكر العربي حول التعاون العربي في مجال العماله واستخدامها في حقبة التراجع النفطي. عمّان: منتدى الفكر العربي، ١٩٨٦. (سلسله الحوارات العربيه؛ ٧)

عبد الرحمن، أسامة. **البيروقراطية النفطية ومعضلة التنمية: مدخل إلى دراسة إدارة التنمية في دول الجزيرة العربية المنتجة للنفط**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٢. (عالم المعرفة؛ ٥٧)

عبد الفضيل، محمود. **التشكيلات الاجتماعية والتكوينات الطبقية في الوطن العربي: دراسة تحليلية لأهم التطورات والإتجاهات خلال الفترة ١٩٤٥ ـ ١٩٨٥**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٨.

العساف، صالح بن حمد. **المدخل إلى البحث في العلوم السلوكية**. الرياض: العبيكان للطباعة والنشر، ١٩٨٩.

عسّه، أحمد. **معجزة فوق الرمال**. ط ٣. بيروت: المطابع الأهلية اللبنانية، ١٩٧١.

Twitter: @abdullah_1395

غليون، برهان. **اغتيال العقل: الثقافة العربية بين السلفية والتبعية**. القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٠.

الفالح، متروك. **المجتمع والديمقراطية والدولة في البلدان العربية: دراسة مقارنة لإشكالية المجتمع المدني في ضوء تريّف المدن**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٢.

الفقي، محمد حامد. **أثر الدعوة الوهابية**. [القاهرة]: مطبعة النهضة، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٥م.

القاسمي، خالد بن محمد. **أثر البترول والغاز الطبيعي في التنمية الاقتصادية في دولة الإمارات العربية المتحدة**. الكويت: دار الشباب، ١٩٨٦.

قائمة التراخيص الصناعية الصادرة بموجب نظامي حماية وتشجيع الصناعات الوطنية واستثمار رأس المال الأجنبي خلال عام ١٤١٩هـ. الرياض: وزارة الصناعة والكهرباء، إدارة الإحصاء الصناعي، ١٤١٩هـ/ [١٩٩٨م].

الكواري، علي خليفة. **تنمية للضياع! أم ضياع لفرص التنمية؟: (محصلة التغيرات المصاحبة للنفط في بلدان مجلس التعاون)**. ط ٢. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦.

لوليعي، عبد الله ناصر. **رسائل الماجستير والدكتوراه عن دول مجلس التعاون في جامعات أمريكا وكندا (١٩٣٥ ـ ١٩٨٦)**. الرياض: دار الوطن للنشر والإعلام، ١٩٨٧.

ماركس، كارل. **رأس المال**. ترجمة محمد عيتاني. بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٨٢.

مركز المعلومات الإحصائية. **تطور التعليم في المملكة العربية السعودية**. الرياض: وزارة المعارف، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك). **التقرير الإحصائي السنوي، ١٩٩١**. الكويت: المنظمة، ١٩٩١.

المهر، خضير عباس. **اقتصاديات نفط الشرق الأوسط**. الرياض: دار العلوم والنشر، ١٩٨٤.

مؤسسة النقد العربي السعودي، **التقرير السنوي الخامس والثلاثون** (١٩٩٩).

مؤمنة، عبد العزيز. **البترول والمستقبل العربي**. [تهامة، جدة: المؤلف، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م].

Twitter: @abdullah_1395

النقيب، خلدون حسن. **المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية (من منظور مختلف)**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٧. (مشروع استشراف مستقبل الوطن العربي. محور المجتمع والدولة)

نهرو، جواهر لال. **لمحات من تاريخ العالم**. القاهرة: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٧.

يماني، مي. **هويات متغيرة: تحدي الجيل الجديد في السعودية**. بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠١.

دوريـات

التركستاني، حبيب الله بن محمد. «دور التعليم في تلبية احتياجات سوق العمل السعودي.» **مجلة العلوم الاجتماعية** (الكويت): السنة ٢٧، العدد ٣، خريف ١٩٩٩.

النقيب، خلدون حسن. «بناء المجتمع العربي: بعض الفروض البحثية.» **المستقبل العربي**: السنة ٨، العدد ٧٩، أيلول/ سبتمبر ١٩٨٥.

نـدوات، مؤتمـرات

الأمة والدولة والاندماج في الوطن العربي. المحرّرون غسان سلامة [وآخرون]. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٨٩. ٢ ج.

الطاقة والتعاون العربي: مؤتمر الطاقة العربي الثالث، تنظيم منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول (أوابك)، الجزائر، ٤ ـ ٩ أيار/ مايو ١٩٨٥.

٢ ـ الأجنبية

Book

Cook, M. (ed.). *Studies in Economic History of the Middle East: From the Rise of Islam to the Present Day*. London: Oxford University Press, 1970.

Twitter: @abdullah_1395

Twitter: @abdullah_1395
11.4.2012

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب ما طرأ على المجتمع السعودي بعد بناء الدولة، ومداخيل النفط. فمن حيث بناء الدولة كان قيام الدولة السعودية متميزاً، إذ جاء نتيجة تحالف سياسي مع الديني (الحركة الوهابية)، الأمر الذي حكم على النظام السياسي بأن يكون على ما هو عليه، على الرغم من التباين الذي حدث مبكراً بين السياسة والقيادة الدينية.

ومن الناحية الثانية، تعرض المجتمع السعودي إلى تحولات عميقة بفضل مداخيل النفط، وما سببته هذه المداخيل من احتكاك متبادل بالعالم. الأمر الذي ترك آثاراً اجتماعية واقتصادية كادت تجرف معها المواريث لولا صدقيتها وقوتها. لكن هذا لا يمنع من انتشار العادات الاستهلاكية والزبونية والفساد البيروقراطي وانهيار أخلاقيات العمل والعمالة الأجنبية والبطالة الوطنية الفقيرة، والانتهازية والتملق والسمسرة.

فهل لا يزال المجتمع السعودي يضم بين فئاته فئات لا تزال وفيّة للموروث الاجتماعي الذي يظن أنه اندثر في المراحل الأولى من تأسيس بناء الكيان؟

الشبكة العربية للأبحاث والنشر
بناية «سادات تاور»، شارع ليون، ص.ب: ٥٢٨٥ ـ ١١٣
الحمراء ـ بيروت ٤٠٠١ ٢٠٣٧ ـ لبنان
هاتف: ٧٨٩٤٥٣ (١-٩٦١)
فاكس: ٧٨٩٤٥٤ (١-٩٦١)
E-mail: info@arabiyanetwork.com